الإسلام دين الحياة

الكتاب الأول

محمد الغزالى

أزمة الشورى

فى المجتمعات العربية والإسلامية

دار الشرق الأوسط للنشر

الإسلام دين الحياة
الكتاب الأول

محمد الغزالى

أزمة الشورى

فى المجتمعات العربية والإسلامية

دار الشرق الأوسط للنشر

الطبعة الأولى
ربيع ثانى ١٤١١ هـ ــ أكتوبر ١٩٩٠ م

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

هـذه السلسـلة .....
وهـذا الكتـاب .....

بقلم الناشـر

عندما فكرنا فى إصدار هذه السلسلة « الإسلام دين الحياة » كان المفروض أن يكون الكتاب الأول فيها بنفس عنوان السلسلة ، وذلك كتمهيد للسلسلة وتقديم لفكرة عامة عن موضوعها الواسع والشامل ، ثم رئى أن نبدأ كتب السلسلة مباشرة ، وشاء القدر أن تكون « أزمة الشورى » هى الكتاب الأول فى السلسلة ، ولم يكن هذا غريباً ، فالشورى هى أخطر قضايا الإسلام كدين للحياة ، وذلك بعد التوحيد بالطبع .. وبالتالى ، فإننا سنتكلم فى هذه المقدمة عن السلسة أولاً ، ثم نقدم لكتابها الأول عن أزمة الشورى فى المجتمعات العربية والإسلامية .

« الإسلام دين الحياة » ، هذا الموضوع ألح على أذهاننا إلحاحاً شديداً لكى يولد ويخرج إلى الحياة ، وذلك فى جو كثر فيه الكلام والتأليف عن الإسلام ، وتضاربت فيه التيارات ، واشتط بعضها متجها إلى فهم منغلق أو متزمت ، يضيق واسعاً أو يشدد ميسراً من هذا الدين ، ويجمح بزمامه إلى غير ما أراده الله ورسوله منه ، وكان ضرورياً أن نقوم ببعض المحاولات التى

نتصورها أنواراً كاشفة على الطريق ، تظهر ماغاب من معالمه عن الأنظار ، وتوضح ما التبس من أمره ، وتساهم فى ترشيد حركة الصحوة الإسلامية التى تتردد صيحاتها بين جنبات الوطن العربى والعالم الإسلامى .

بديهى أننا سنقدم الإسلام فى هذه السلسلة كدين للحياة ، أى بالمعنى الشمولى لهذا الدين ، والذى لم يدع شأناً من شئون الحياة ودروبها العديدة لم يقل فيه كلمته ، ولم يوضح فيه منهجه ، وذلك مصداق الآية الكريمة : ﴿ ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شىء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ﴾ ..

وبالتالى ، وعلى أساس هذا الفهم ، فإننا سنحاول من خلال كتب هذه السلسلة أن نقدّم الإسلام كما أراده الله ، كدين جهاد ودين تسامح ، دين يحارب التفرق والتمزق والزندقة والشعوذة والخرافات ، ويحترم العقل والتفكير العقلانى ، ويدعو إلى احترام العصر ومواكبته والتفاعل معه وحلّ مشكلات الإنسان فى جميع المجالات ، ويحارب تغييب الناس عن شئون حياتهم وعن قضايا أمتهم ، كما أنه وفى نفس الوقت ، دين للناس كافة ، لا يحق لفئة أن تحتكر التحدّث أو الحكم باسمه .. كما أن أحد أهم أهدافه وثماره فى آن واحد هو بناء الحضارة وتحقيق الحرية والعدل والمساواة ..

وإذا كنا نؤكد فى كتب السلسلة على أن الإسلام دين الحياة ، فى وقت أراد فيه البعض عزل الإسلام عن الحياة وعزل الحياة عنه ، بينما فهمه البعض الآخر فهماً قاصراً يقف به عند حدود العبادات ، فإننا من ناحية أخرى لا تقف بفهمنا لهذا الدين وحديثنا

عنه عند حدود هذه الحياة الدنيا ، بل يمتد إلى الحياة الآخرة باعتبارها هى دار القرار ، ويدعو إلى الاستعداد الكامل لها ، وبذلك يتحقق المعنى الكامل لحياة الإنسان المسلم ، حياة الجسد والروح معاً ، حياة الدنيا والآخرة معاً .. ولا يتحقق الأمران معاً إلا لمن استكمل الحياة لقلبه وعقله وجسده .. ولنتأمل قول القرآن الكريم :

﴿ يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم ﴾ .

وقوله : ﴿ ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حىّ عن بينة ﴾ .

وقوله : ﴿ ياليتنى قدمت لحياتى ﴾ وهنا يتكلم القرآن عن الحياة باعتبارها هى الحياة الآخرة .

ثم قول القرآن الكريم : ﴿ وان الدار الآخرة لهى الحياة لو كانوا يعلمون ﴾ أى الحياة الدائمة ، الحياة الحقة ، الحياة فى أعلى ذراها وفى أعلى درجات الحيوية والسعادة .

لعلنا نكون بذلك قد أوضحنا معنى الحياة فى هذه السلسلة ، والخطوط العريضة التى تتسع لها ، وذلك بالمفهوم الشمولى للإسلام ، وبالمعنى القرآنى لكلمة الحياة التى تمتد من الحياة الدنيا إلى الحياة الآخرة .

أما عن الكتاب الأول من هذه السلسلة ، فإن الشورى .. هى بلا شك أقدس مبدأ تقوم عليه الحياة السياسية فى المجتمع

الإسلامى الحقيقى ، وهى فى هذه المرتبة من القداسة لأن الله أمر بها : ﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾ ، ولأن الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين التزموا بها ، وقبل أن تُعرف الصّيَغ والمؤسّسات الحديثة لممارسة الشورى من خلالها ، ولأنها قبل ذلك كله وبعده من ألزم اللوازم لإنسانية الإنسان وكرامته التى قدسها الإسلام وحافظ عليها ، والتى يستوجبها استخلاف الله للإنسان فى الأرض ، وتسْخير مافى السماوات وما فى الأرض له .

لا يمكن بعد ذلك كله أن يكون الفرد فى مثل هذا المجتمع كماً مهملاً ، وكائناً حيّاً يعيش لمجرد العيش دون أن يكون له رأى فى أمور مجتمعة وبلده ، ودون أن يشارك مشاركة إيجابية فعالة فى صنع القرار وفى مراقبة تنفيذه .

على أن واقع مجتمعاتنا العربية والإسلامية كان بعيداً تماماً عن الشورى ، وعن روحها وحقيقتها ، وهى إما أنها لا تسلم بالشورى أصلا ولا تأخذ بها .. وإما أنها تدعيها أدّعاءاً وتنتسب إليها زوراً وبهتاناً ، بينما هى فى الحقيقة جسد بلا روح ، ومظهر بلا مخبر ، وشكل بلا مضمون ، وبينما تجرى تحت لافتة الشورى مهازل مثيرة من تزوير للانتخابات ، وتزييف لإرادة الشعب ، وإصطناع لأغلبية كاذبة يحكمون باسمها ، بل ويمارسون فى ظلها الاستبداد والتسلط والقهر وجنى المنافع ونهب الأموال !!

من هنا ومن ذلك كله كان تقديمنا لهذا الكتاب لفضيلة الشيخ محمد الغزالى عن أزمة الشورى فى مجتمعاتنا العربية والإسلامية ،

لعله يكون مساهمة فعالة فى تشخيص الداء ، وفى التقدّم ولو خطوات نحو تطبيق الشورى الحقيقية .

على أننا نود إلى جانب الاشادة بمضمون الكتاب ، الذى تنطلق كلماته كالقذائف النارية على رؤوس المستبدين ، والذى يلقى الكثير من الضوء على الواقع المأساوى لمجتمعاتنا العربية والإسلامية ، نودّ إلى جانب ذلك أن ننوّه بأننا قد لانتفق مع بعض تقييمات المؤلف الفاضل لأحداث ورجال الخمسينات والستينات فى الوطن العربى ، ولكن يبقىَ للمؤلف رأيه الذى نحترمه ، ووجهة نظره التى نتفهمها .

وَتُبقى قضية الشورى مع ذلك كله وفى كل الأحوال ، هى القضية المقدسة التى تعلو فوق كل الأشخاص ، وفوق كل الاعتبارات .

١ / ١٠ / ١٩٩٠

الناشــــر

مقدمـــــة

بقلم المؤلف

مازلت أعتقد أن ثروتنا من المواهب الثمينة والكفاءات المثمرة كبيرة ، وأن حظوظنا من تلك المعادن النفيسة لا تقلّ عن مثيلاتها لدى الدول العظمى .. !!

كل ماهنالك من فروق أن غيرنا انتفع بما يملك ، وأتاح الفرص لبقائه ونمائه ، وعملت الحريات الموفورة عمل الأشعة فى إنضاج الزرع ، وعمل المياه فى إمداده بالنضارة والحياة ...

أما فى أرجاء العالم الإسلامى فإن الحكم الفردى - من قديم - أهلك الحرث والنسل ، وفرض ألوانا من الجدب العقلى والشلل الأدبى أذْوَتْ الآمال ، وأقنطت الرجال ..

والغريب أن هذا التخريب يناقض مناقضة ظاهرة توجيهات الإسلام فى كل ناحية !

هل فى دين الله أهم من العقيدة ؟ لا ! إن الاعتقاد فى المنطق القرآنى نبت وسط حرية البحث والتأمُّل وطلب البرهان ! ولننظر إلى حديث القرآن عن المشركين ،

ونتأمل فى مساره ، يقول الله سبحانه : ﴿ أم اتخذوا من دونه آلهة ؟ قل : هاتوا برهانكم . هذا ذكر من معى وذكر من قبلى ﴾ .

ليس هناك مجال لإلغاء العقل ورفض الرأى الآخر ، لابُدّ من تبادل الحجج ونشدان الحقيقة وحدها .. لامكان لتكميم الأفواه وفرض وجهة نظر واحدة ..

صاحب الصواب لايهاب النقاش ، صاحب الحق يَغْشَى به المجالس ، ويَقْرَع به الآذان ..

المأساة تحدث من مُبطل يريد بالعصا أن يخرس الآخرين ، ومع تفاهة ماعنده يقول مقالة فرعون قديما : ﴿ ماأريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد ﴾ .

فإلى أين قادهم ؟ إلى الغرق فى الدنيا والحرق فى الآخرة ؟! . إن الاستبداد السياسى يُبيد كل أسباب الارتقاء والتقدم ، ولا تصلح الحياة برجل يزعم العلم بكل شىء ؛ ويتهم الناس كلهم بأنهم دونه وعيا وفهما ..

لقد نهضت دولة الخلافة على دعائم الشورى ، وكان المبدأ المقرر عند كل خليفة « إن رأيتم خيرا فأعينونى ، وإن رأيتم شرا فقوِّمونى » . ومن هنا أرست دعائم الحق إلى قيام الساعة .

والدول الكبرى الآن ليس فيها مكان للتفرعن والادِّعاء الأعمى ، إن هذه الآفات للأسف تكثر فى الدويلات التى تعيش فى غيبوبة التخلّف والاستسلام لجلاّديها ..

وهذا الكتاب صيحة تحذير من غياب الشورى ، واستخفاء االحريات العامة ، وإهدار كرامات الشعوب .

محمد الغزالى

مدخـــــل

كتبت هذه الكلمات فى مطلع القرن الهجرى الحالى « الخامس عشر » ، وحين أردت أن أتعرض لأزْمة الشورى فى مجتمعاتنا رأيت أن من الأفضل أن أتعرّض أولاً لواقعنا العربى والإسلامى ، ولما يشوب هذا الواقع من هوان وضياع هو النتيجة الحتمية لغياب الشورى الحقيقية ، ولشيوع الاستبداد السياسى فى هذا الواقع المؤسف ..

لقد شق الإسلام طريقه إلى آفاق العالم فى وجه مقاومات عديدة متصلة ، كانت قوى الشر والجهل تتشبث بها فى كل مكان ..

ولولا الصلاحية الذاتية للإسلام ، ولولا تجاوبه مع نداء الفطرة واتجاهات العقل لانهزم فى أكثر من ميدان ، وأصبح حديثا يروى لا حقيقة قائمة !!

ولنضرب المثل من « مصر » التى نعيش فيها ويحتمى الإسلام بصدور بنيها .

ولقد شرحنا فى موضع آخر كيف انتشر الإسلام بها ، كانت مصر مستعمرة رومانية ، وشاء الله أن تعتنق النصرانية على غير هوى من الرومان الذين كانوا وثنيين .

وحاول المستعمرون بكل وسائل البطش فتنة المصريين عن دينهم ، وسال الدم غزيرا فى المدائن والقرى ، ومع ذلك كله تكسرت أمواج القوة أمام صلابة المعتقد ، وبقى المصريون على دينهم الذى ارتضوه ..

ثم اعتنق الرومان النصرانية على مذهب فى الإيمان لم يعرفه المصريون ، وحاول الرومان مرة أخرى أن يشدوا المصريين إلى وجهتهم ، وبدأ عصر آخر من الاضطهاد ، وفى تلك الأثناء دخل العرب مصر يحملون تعاليم الإسلام . فماذا حدث ؟

إن الفاتح المشتبك مع الرومان عرض الإسلام على الناس عرضا نظريا عابرا ، ولم يحاول احراجهم ليسلموا ، كل ما طلبه عون مالى تافه ليستطيع الاستمرار فى مقاتلة الرومان مع إراحة الجماهير النصرانية من أعباء هذا القتال !

وهنا يقرر التاريخ حقائق ذات بال ! إن الشعب الذى بذل دمه ضد الرومان دفاعا عن ديانته التقليدية أخذ يتحول رويدا إلى الإسلام !

ويستحيل على عاقل أن يرد ذلك إلى التخفف من عبء مالى ، إلا إذا كان الإنسان يستسهل بذل الروح ويستصعب دفع قروش !

والغريب أن أحد الولاة السفهاء هاله أن أعدادا كثيفة من المصريين دخلت فى الإسلام وأن الضريبة المفروضة نقصت ، واضطربت بذلك موارد الخزانة .

فماذا صنع هذا الوالى الأحمق ؟ استبقى الجزية على من يسلم

من النصارى ! .

ومع ذلك بقى المصريون يدخلون فى دين الله أفواجا ، ويدفعون المال المطلوب .

حتى جاء عمر بن عبد العزيز فكتب إلى حاكم مصر يقول له : ويحك ان محمدا بعث هاديا ولم يبعث جابيا ، ضع الجزية عمن أسلم .

فاستراح المسلمون الجدد من الظلم النازل بهم ، أو الفتنة التى تصدهم عن سبيل الله ..

وظاهر من هذا السياق التاريخى الحاسم أن المصريين آثروا الإسلام عن حب ، وأن إعجابهم به هو الذى دفعهم إليه ، وأنهم قاوموا بعض العرب السفهاء الذين عرقلوا خطاهم وهم يحفون إلى اعتناق الإسلام .. !!

إن هذا المنظر الغريب لم يكن حكرا على وادى النيل ، فقد شرق الإسلام وغرب ، وطوى السهول والجبال ، والطاقة الفذة التى يندفع بها هى صلاحيته الذاتية أولا ثم أهل الفداء والعبادة من الفقهاء والدعاة والقراء والتجار ، وقليل من الحكام الطيبين .

لم تكن أجهزة الحكم مشغولة بنشر الدين أو مهتمة باستغلال سلطتها فى اكراه الناس عليه ..

كان الحاكم المسلم أشبه بتاجر يفخر بنفاسة ماعنده من سلع فهو لايحسن العرض ولا الاغراء ولا استجلاب « الزبائن » .

حاجة الناس إلى الأجود ستضطرهم إلى الزحام على بابه .

على حين كانت هناك سلع مغشوشة قيض القدر لها سماسرة مهرة يسحرون بها الأعين ويستدرجون السذج .

ومضت القرون والإسلام بما له وما عليه ينطلق هنا وهناك ويشتبك مع القوى المناوئة فى حرب سجا ل ، ثم تكاثرت الفتوق والخيانات فى الجانب الإسلامى ، وطلع القرن الرابع عشر على أمة انهكتها العلل ، ودين ليس له رجال ، فانفرط العقد كله ، وتفرق المسلمون شذر مذر ، واستنسر بأرضهم البغاث ، وحكمتهم شراذم دخيلة من الملحدين ، واليهود ، والنصارى ، الذين لا تصح لهم صلة بالسماء .

ما الوضع فى نهاية القرن الرابع عشر ؟

استمكن أعداء الإسلام من خناقه ، فتم لهم تمزيق جماعته الكبرى اشلاء منثورة على صعيد القارات الخمس ، وانشغل كل شلو بنفسه فما يدرى عن صنوه شيئا ، ثم قامت كيانات مستقلة للمسلمين ، افتقدت روح الإسلام الحقيقية ، واجهت تركة ثقيلة من التخلّف ومضاعفات النزف الاستعمارى لثرواتها ، ولم تستطع هذه الكيانات أن تحفظ كرامة الإنسان المسلم فى داخلها ، ولا أن تعترف له بأيسر حقوقه فى الشورى والمشاركة فى الحكم .

يزيد تعداد المسلمين فى العالم أجمع على ألف مليون نفس . وقد ذكر الشيخ محمد المنتصر الكتانى فى محاضرة له بمكة المكرمة ، تستقى معلوماتها من هيئة الأمم المتحدة أن المسلمين ٨٢٧ مليونا من الأنفس ،

ثلثهم يعيشون (أقليات) فى سلطان حكومات شيوعية ووثنية ونصرانية والباقون يحيون فى دول مستقلة بلغت ٤٠ دولة .

وقبل أن نتحدث عن أحوال الثلث والثلثين فى إلماعات عاجلة نذكر إن هناك حرب احصاءات مزورة يشنها أعداء الإسلام على أمته السكرى كى يزيدوها بلبلة وحيرة .

إن السنغال يقطنها أكثر من ٩٥ ٪ من المسلمين ، وحكومتها نصرانية .

وتنزانيا المكونة من زنجبار وتنجانيقا يقطنها أكثر من ٨٥ ٪ من المسلمين وحكومتها نصرانية ، تعمل بحرارة لضرب الإسلام فى وسط افريقيا وشرقها .

وهناك أعداد مكذوبة عن نصارى غانة وجنوب السودان توهم أنهم أغلب السكان وهم فى الحق بين ١٥ ٪ ، و ٢٠ ٪ ولا يقل المسلمون عنهم عددا .

ومع ذلك فقد صنع الاستعمار العالمى عشرات الدول النصرانية فى قارة إفريقيا وغيرها ليكتم أنفاس المسلمين داخل سجونها المعتمة .

وقد أشاع موارنة لبنان أنهم كثرة السكان مع أنهم لا يبلغون ٢٠ ٪ من تعداد البلد الذى يراد تنصيره بالخديعة طورا وبالسلاح طوراً ، ليكون بعد تهويد فلسطين قلعة أخرى لضرب الإسلام ورده إلى الصحراء كما يقولون .. !!

إن المسلمين لا يقلون عن ألف مليون ، وإن كانت حرب الإحصاءات تبرز غير ذلك .

ولست متحمسا لإثبات ما أقول ، فلو كان المسلمون ضعف أعدادهم الصحيحة ما أغناهم ذلك شيئا بعدما أثبتت التجارب أن القلة العاملة خير من الكثرة العاطلة .

بيد أنى أريد فحسب لفت النظر إلى صنوف المؤامرات التى تبيت لهذا الدين ولاتباعه المقهورين فى كل قطر ..

والجهود تبذل الآن باصرار وقوة لصرف المسلمين عن دينهم ، وتجهيلهم فى تراثه وقيمه ويومه وغده .

وبديه أنها أدنى إلى النجاح وسط « الاقليات » المرهقة المغلوبة على أمرها ويتم صرف المسلمين عن دينهم بوسائل لا عبقرية فيها ..

قال لى مسلم أندونيسى : ان إحدى شركات المياه الغازية قبلت أن يعمل بها رجل مسلم بمرتب حسن ، وبعد عام من استقرار امره واجتماع شمله فوجىء برئيس الشركة يقول له : إن أمامك مهلة شهر لتدخل فى النصرانية وإلا فصلت ، وقال الرئيس معتذرا أو مؤكدا : هذه هى الأوامر التى صدرت له من الجهات العليا ..

وتنصر البائس ..

وقرأت فى تقرير عن مسلمى استراليا مقدم إلى جامعة الملك عبد العزيز أن « فلانا » قدم من استانبول لاجئا إلى القارة الجديدة يبتغى الرزق ، وكان رب أسرة كبيرة ، وطرق الأبواب الموصدة فلم يفتح منها باب ، وعرض عليه التنصر هو وأسرته ليضمن العيش ، وقبل التركى الهارب من بلده أن يرتد عن دينه .

قال الدكتور حسن باجودة مقدم التقرير : إن هذه الأسرة

بلغت الآن مائتى نفس ، منها مائة وستون من الكاثوليك وأربعون من البروتستانت ..

لقد قلت : ان أعداء الإسلام لم يقوموا بحيل عبقرية لينالوا من أمته ، ان وسائلهم عادية ، والقانون ــ كما يؤكدون ــ لا يحمى المغفلين .

وإذا عجز المسلمون عن خلق أوضاع اقتصادية تحمى عقائدهم وإذا عجزوا وهم فى داخل بلادهم عن أن يحترموا حقوق الإنسان للمسلم وكرامته وحريّة رأيه وحقه فى حكم نفسه بنفسه ــ إذا عجز المسلمون عن ذلك فلا يجوز أن يلوموا المتربصّين بهم ، المتخطفين لأبنائهم .

وإنه ليحز فى النفس أن يكون لدينا أغنياء يبذلون الألوف المؤلفة فى إشباع الشهوات ، وتجف أصابعهم عن بذل شىء فى حماية الأرض والعرض والإيمان والشرف .

إن الألف مليون مسلم الذين ينتشرون الآن على ظهر الأرض يواجهون مستقبلا غامضا ، وتستوى القلة والكثرة أمام هذا المستقبل لأن الإسلام الذى يجمع بينها رباط منكور أو هو رباط ثانوى فى أحسن الظروف ، والرباط الأول هو القوميات الضيقة أو الموسعة ..

نعم ، إن القوميات كلها ــ وأولاها القومية العربية ــ تعد الإسلام ضيفا على الوطن ، ربما كان ضيفا خفيفا أو ثقيلا حسب المزاج الوطنى ..

فإذا حاول هذا الدين التذكير بحقه والمح إلى أنه صاحب البيت

كان الجواب العجل : خذ عصاك وارحل ، ليس الولاء لك ولا الدفاع عنك ..

وعندما استفحلت الأزمات السياسية ، وجاءت اليهودية هاجمة علينا من أطراف الأرض قررت القوى المعادية للإسلام أن تستبعده من المعركة ، ورأينا عجبا ...

رأينا « بيجين » اليهودى البولندى يطرد عمد القدس والخليل ونابلس ، ويصيح . هذه الأرض باسم التوراة لى وحدى .

واستحيا العرب أن يلوذوا بالإسلام مدافعين ، أو يذكروا اسمه فى أى مجال ، أو أن يقيموا نظمهم السياسية والاقتصادية على أساسه .

لا إسلام هنالك ، لا تنادى باسمه ، لا تجميع عليه .. ربما طلب عند الغرق لأن الضرورات تبيح المحظورات وعندئذ يطلب ليكون دوره ثانويا وحسب .

إن العالم الإسلامى ، والجماعة الإسلامية ، والتضامن الإسلامى ، والأخوة الإسلامية كلمات جوفاء الرنين قد يكون لها فى عالم الخطابة دوى ، أما عالم الواقع فكلمات لا يجوز أن تذكر ..

وخلال القرن الرابع عشر ، وقبله تمكن أعداء الإسلام كما قلنا من تقطيع الكيان الكبير ، وشغل كل كيان محتل أو مستقل بقضاياه الخاصة فهو يلهث وراءها لا يذكر غيره ولا يلوى على شىء ..

وفى ذلك الجو النكد وقعت مذابح رهيبة بين جماهير المسلمين المبعثرة فى المشارق والمغارب أذكر ماعلق بذهنى منها خلال العام الأخير .

١ ـــ فى الدورة الحادية عشرة للمؤتمر الإسلامى عرضت مأساة مسلمى « كمبوديا » الذين كان عددهم ٧٠٠٠٠٠ فأصبحوا بعد سيادة الشيوعية ٢٠٠٠٠٠ .

أين ذهب نصف مليون مسلم ؟ تلاشوا فى صمت ! فإن عصابات « الخمير روج » التى ملكت السلطة أبادت خصومها من الشيوعيين أنفسهم ، حتى أن الأمير سيهانوك الشيوعى المعروف فر من وجهها فكيف تكون معاملة المسلمين ؟ .

وقد يظن أنهم فروا مع جماهير اللاجئين إلى « تايلاند » ..

ولكن تايلاند تضطهد رعاياها المسلمين وتضن عليهم بحقوق الإنسان ، ويوجد بها أربعة ملايين مسلم يعانون الضياع والهوان .

هل كان لمسلمى « كامبوديا » مهرب آخر ؟ مثلما أتيح لنصارى « فيتنام » ؟ كلا أن العالم المسيحى استقبل الفارين من الحكم الشيوعى فى « فيتنام » وأغلبهم من صنع الحركات التبشيرية الناجحة .

أما المسلمون فى هذه البقاع النائية فمن يحس أزمتهم ، ويفتح قلبه وأرضه لهم ؟

لقد تركوا لكى يهلكوا فى صمت .. ولقد هلكوا والمسلمون سكوت فى كل مكان .. !

٢ ـــ جرب الروس فى أفغانستان بعد احتلالها غاز الأعصاب ، وتمكنوا به من إبادة قرية إسلامية كاملة ، وانطلقت إشاعة المحنة التى نزلت بقرية « خير الله » والتى تحولت بعد إلى مقبرة كبيرة ..

قالت صحيفة الأخبار فى عدد ٨ / ٦ / ١٤٠٠ أن محطة التليفزيون الأمريكى « سى . بى . إس » أرادت استقصاء الحقيقة فأرسلت بعثة خفية إلى أفغانستان لترى هل حدثت حقا هذه الفظائع المروية ؟ وهل لوثت « موسكو » وجهها إلى هذا الحد !

هل وقعت بالفعل مجزرة « خير الله » تلك القرية التى قتل فيها بطريقة جماعية ألف ومائة رجل وامرأة وطفل ؟ وهل توجد أدلة قائمة على استخدام الروس لغاز الأعصاب ؟

لم يزد أعضاء البعثة على خمسة من الصحفيين والفنيين وصاحبهم طالب من جامعة « هارفارد » يدرس علوم الشرق الأوسط ، ويجيد اللغة الفارسية ، ويستطيع القيام بأعباء الترجمة ..

وعندما انطلقت البعثة لاداء عملها انضم إليها دليل من أحد زعماء المقاومة وقد استغرقت الرحلة ستة أيام حافلة بالأخطار ، قطع الرجال المغامرون خلالها أكثر من مائتى ميل بحثا عن القرائن والشهود ، أطلقوا خلالها لحاهم ، وارتدوا زى الأفغان المحلى ، إمعانا فى الاستخفاء .

ومن أهم ماسجلته البعثة أن رجال المقاومة البواسل كانوا يعرضون عنهم ويشيحون بوجوههم عندما يعلمون أنهم أمريكيون لأن الموقف الأمريكى بإزاء الروس كان هزيلا ، لم يزد عن مقاطعة الألعاب الرياضية فى « موسكو » .

وجاء فى التقرير أن المقاومة تلتحم بالشعور الدينى ، وان الإسلام من وراء هذه الحرب الدفاعية المستميتة وان المجاهدين كانوا

يقولون : حربنا مع السوفيت سوف تستمر مشتعلة ولو لمائة عام وسوف يخوضها الاباء ويرثها عنهم الأبناء ، حتى آخر رجل ..

وتتبعت البعثة الأمريكية أنباء القرية الذبيحة ، وتحدثت مع شهود الحادث الذين أفلتوا من الموت ، وتفقدت الأطلال الخاوية والآثار الموحشة ، واستيقنت أن أمرا بالافناء الجماعى قد صدر ونفذ بدون اكتراث !!

اصدرته إحدى القوتين العظميين فى العالم ضد ناس يحملون البنادق البدائية دفاعا عن دينهم وأرضهم .

تقول الأستاذة / مها عبد الفتاح بعد إثبات القصة الفاجعة : أين نصيب « خير الله » من الدعاية (الميلودرامية) على امتداد العالم الكبير ؟ ولماذا لا يحظى المقاومون الأفغان بمعشار البطولة التى ظفر بها الفيتناميون الشماليون وهم يقاومون الولايات المتحدة !

وتتساءل كذلك هل ذهب صحافى مصرى أو عربى ليعرف ما هناك ، وليزود العرب والمسلمين بالوقائع من مصدرها الأول ، لا نقلا عن وكالات الأنباء العالمية ؟

والإجابة على هذه الأسئلة معروفة لدينا ، إن التعتيم على الجهاد الإسلامى خطة دولية مقررة ، وما نرتاب فى أن الدم الإسلامى أرخص دم فى القارات الخمس ..

ونحن نعرف بواعث هذه الخطة ، ولكننا لا نزال نسائل العرب والمسلمين ما معنى تجاهلهم لآلام إخوانهم وتبلدهم بإزائها ؟ واستغراقهم فى المجون وأهلوهم يبيدون ؟؟

أنا لا ألوم الولايات المتحدة على هزال موقفها من الروس ، فإن هذا الموقف أشرف من مواقف عرب قرروا أن يلعبوا فى موسكو مع الجلادين الذين استباحونا !!

إن المجاهدين الأفغانيين ــ مثل كثيرين غيرهم ــ يهلكون والمسلمون سكوت ، لأن الجسد الواحد أمات الشلل أجزاء كثيرة فيه ، فما تنتظمه دورة إحساس مشترك ...

٣ ــ فى رجب سنة ١٣٩٩ طالعت عددا من صحف المملكة العربية ودول الخليج ، قرأت وأنا كئيب مصرع ٥٠٠٠ مسلم فى تشاد ، كانوا تجارا من شمال البلاد ، أى من الكثرة المسلمة يعملون فى الجنوب أى بين الزنوج الذين نقلتهم بعثات التبشير إلى النصرانية ...

وفى فورة حقد أعمى وثبت العصابات الصليبية على التجار المتفرقين فى أعماق القرى ، واغتالتهم واحدا واحدا ، وغنمت رءوس أموالهم !!

وشاع النبأ الدامى ، فلم تعلق عليه دول الجامعة العربية ، لأنه لا يعنيها ! وقرأه عوام المسلمين ببلاهة رائعة ، فقد دربهم الغزو الثقافى على استقبال هذه المصارع ببرود !

وكنت مدعوا لزيارة الكويت لإلقاء محاضرات بها ، وكان مهلك هذه الألوف من الموحدين المستضعفين يؤجج النار بين أضلاعى ، وتحدثت إلى رواد « جماعة الإصلاح الاجتماعى » وذكرت أن مثل هذا الحادث وقع لحشود من التجار السودانيين المسلمين كانوا

قد انتقلوا من الشمال للعمل فى الجنوب فوثب عليهم عملاء التبشير ، وأذاقوهم الحتوف فما نجا منهم أحدا !!

واقترحت أن نحدد يوما للشهداء ، أو يوما نسميه يوم الدماء نبكى فيه قتلانا ، وإن كانت الدموع شر الأسلحة .

قلت : إن صعلوكا من اليهود يخدش ظفره يتحرك له مجلس الأمن ، أما نحن فإن الألوف منا يقتلون فما يكترث لمصابهم أحد فى الهيئة الدولية ..

وإذا لم نغضب نحن لمصائبنا ، فلا نلوم الذين يستقبلونها وهم لاهون ...

واستمع الناس إلى الاقتراح وهم محزونون !

٤ ــ فى ١١ من المحرم / ١٤٠٠ نشرت صحيفة الرائد التى تصدرها ندو ة العلماء فى (لكهنو ــ الهند) هذا المقال تحت عنوان « سقوط ألف مسلم فى مذبحة بالكاميرون » !!

قالت الصحيفة الهندية : أذيع تقرير إخبارى لمراسل صحيفة « صنداى تلغراف » البريطانية عن انتفاضة كبرى عمت المنطقة الشمالية من « الكاميرون » ــ وهى المنطقة الإسلامية ــ وقد قتل فيها ١٤ جنديا وجرح الحاكم الإقليمى مما أدى إلى استدعاء قوات الجيش لقمع الثائرين وتأديبهم ..

قال المراسل الانجليزى : إن حوالى ألف شخص بين رجل وامرأة وطفل سقطوا فى المذبحة الانتقامية ، وإن مجمعات سكنية كاملة تمت

إبادتها ، ثم جرت محاولة لاغتيال « أحمدو اهيدجو » رئيس الجمهورية وهو مسلم من الشمال ..

قال المراسل : يبدو أن سبب ماحدث هو التوتر المتزايد بين الجنوب المسيحى والشمال المسلم .

قال : ويدعى المسلمون أن النصارى الجنوبيين يحصلون على ميزات خاصة ، وأن التفرقة فى المعاملة ملحوظة ، وان النصارى يفوزون بمعظم المناصب الحكومية وأن العنصر المسيحى هو الغالب فى تكوين الجيش .. !!

هذه هى مزاعم المسلمين كما يرويها المراسل الانجليزى .

ثم قال المراسل المحايد بعدئذ : إن أعمال القتل بين المسلمين بدأت منذ ٢٠ / ١٠ / ١٩٧٩ عندما بدأ المسلمون فى « مكارى » وما حولها يحتجون على سوء استخدام موظفى الحكومة للأموال التى يحصلونها لغرض إنشاء المدارس هناك ـــ وهؤلاء الموظفون جميعا جنوبيون ـــ ويقول المسلمون : إنه لم يتم إنشاء المدارس المطلوبة ، والقليل الذى أنشىء بنى بالطين لا بالأسمنت ، وتقول المصادر الحكومية ، إن المعارضين لقوا تشجيعا من أحد رجال الدين القادمين من « تشاد » فقد ظل عدة أيام يعظ المسلمين ويحرضهم على التمرد ، ورفض تصرفات الحكومة .

ولم تكن السلطة الحاكمة تقدر خطورة الموقف بادىء الأمر فاكتفت بإرسال « عثمان مى » حاكم الإقليم الشمالى ومعه أربعة عشر رجلا من رجال الشرطة للتفاوض مع المتمردين ..

ولكن المتمردين قتلوا البعثة الحكومية ، واستطاع رئيسها الهرب بعدما أصيب برصاصة فى قدمه ..

وفى اليوم التالى تحرك الجيش ، وانزلت الطائرات المروحية جنودا كثيرين فى المنطقة الغاضبة ، وبدأت للفور أعمال الحرق والقتل ، وذكر أحد الفلاحين الهاربين أن الرصاص كان يطلق على كل شخص ، وأن النار كانت تشعل فى كل كوخ .. ولم تقع مقاومة تذكر ..

ويؤكد اللاجئون أن القتلى نحو ألف شخص ، وذكرت السفارة الأمريكية فى « جامينا » أن التقارير التى جاءتها تشير إلى أن القتلى من المسلمين بلغوا ثمانمائة قتيل فقط .

وبالرغم من أن المنطقة أمست كلها فى أيدى الجنود بعد سحق التمرد فإن الوسائل البشعة التى اتبعوها فى قتل المسلمين أثارت مرارة شديدة فى كل نفس ، وظهر أن الحكومة تريد تلقين المسلمين درسا يمنعهم من محاكاة مسلمى « تشاد » أ هـ الصنداى تايم بتصرف قليل .

أننى أجزم بأن هذه القصة لم تستلفت أجهزة الأعلام فى الشرق الأوسط كله ، لا نقلا ولا نشرا ، فليس فيها مايثير !

ماقيمة قتل ألف مسلم فى بلد اسمه « الكاميرون » ؟

إن أجهزة الأعلام قد تهتم بإذاعة مباراة لكرة القدم ، يحتشد مئات الألوف لرؤيتها ، نعم فإن الناس عندنا تسحرهم فلسفة الأرجل المتحركة فى الميدان المائج .

أما فلسفة القوب المتوهجة باليقين .

وأما فلسفة العقول الباحثة عن الحق .

أما فلسفة العقائد المتطلعة للحياة ــ فهذه أمور ليست ذات بال .. !!

وما ينقضى عجبى من إهمال العرب لمأساة الكاميرون هذه وإقامة جدار من الصمت دونها ..

أما مسلمو الهند فقد شعروا بالمصيبة ونشروها ، ولولا يقظتهم الإسلامية ما عرفتها أنا ..

وأتساءل أخيراً : هل التفرقة العنصرية التى شكا منها المسلمون كانت موضع تحقيق ؟ هل سرقة حقوقهم المدنية والعسكرية أغضبت أحدا ؟

أم المقصود أن الأرض الإسلامية المترامية الأطراف يسرح فيها الشيوعيون والصليبيون ويحتازون لأنفسهم ما يريدون دون أن ينبس أحد ببنت شفة ... ؟

فى هذه العجالة لا أريد أن أسجل خسائر المسلمين وهزائمهم على مدى قرن من الزمان مثلا ، كلا ، إننى أريد تسجيل ما علق بذهنى من الام هذه الأمة خلال عام .

ولم أتعرض لما ذاع وشاع من مآسيهم فى الفلبين ، حيث القتلى ألوف ، ولا إلى ما استخفت أنباؤه من مذابح المجاهدين فى بعض البلاد العربية .

لقد أردت فقط إبراز الانهيار السياسى للدولة الإسلامية الغاربة ، والآثار المخزية لهذا الانهيار الذى يصحبنا ونحن نستقبل قرنا جديدا ..

كان المسلمون فى القرون الأولى عشر معشار عددهم الآن ، بيد أنهم كانوا أعز جانبا وأحمى أنفا .

وليس صعبا أن تقوم لهم دولة كبرى تلم شملهم وتأسو جراحهم ، فإن المسلمين يقاربون « الصين » فى التعداد ، وقد قامت للصين دولة كبرى ، واعتبرت اللغة الصينية من اللغات الخمس التى كتبت بها مواثيق الأمم المتحدة .

على أنى لا أرى ذلك الحل الأوحد أو الأمثل .. فإن نظام الخلافة يجب أن يدرس بدقة من خلال التعاليم الإسلامية والتطبيقات التاريخية على سواء .

إن الخلفاء على مدى القرون الأربعة عشر كانوا من بنى أمية والعباس وعثمان .

ولم يقل أحد ان الله سبحانه وتعالى خص هذه الأسر بالعبقرية والتقى ، وجعل نفرا منها يحتكرون قيادة المسلمين أجمعين جيلا بعد جيل .

إن من هؤلاء الخلفاء من اقترف فى جنب الله المناكر ، ولو جرد من أردية السلطة وقدم إلى قضاء عادل لأمر بضرب عنقه ..

وقد تنبأ صاحب الرسالة الخاتمة ــ عليه الصلاة والسلام ــ بتحول الخلافة الراشدة إلى ملك عضوض .. ومن حق الأمة التى تأذت رسالتها وتردت سيادتها أن تعيد النظر مرة ومرة فى الأسلوب الذى تحكم به جماعتها وتبلغ به دعوتها .. !!

□ ★ □

الاســـتبداد الســـياسى

إن الاستبداد السياسى داء دوى ، وليس أسوأ منه إلا تجاهل أثره والتعامى عن خطره !

وللشورى مفهوم غامض عند بعض المتحدثين الإسلاميين ، ومفهوم مضاد لحقيقتها عند بعض آخر ، ولو وقع زمام الأمور فى أيديهم لأعادوا حكم الملك الغورى فى القاهرة ، أو السلطان مراد فى الأستانة .

وأحدّهم ذكاء من يعيد السلطة لصاحب الكلمة الفاجرة : [« أمير المؤمنين » هذا ، فإن هلك فهذا ، فمن أبى فهذا] ــ مشيرا إلى سيفه ــ !!

وهذه الميوعة فى مفهوم الشورى الإسلامية لا تزيد المسلمين إلا خبالا وفوضى .. وسببها قلة الفقهاء أو انعدامهم فى ميدان الدعوة ، وازدحام هذا الميدان بذوى المعلومات الكاسدة أو التجارب القليلة أو الحماس الأجوف ..

إن المفروض فى الشورى أن تقى الأمة سيئات شتى ..

منها إعجاب الغبى برأيه ، ورغبته فى فرضه على الناس وقديما قيل : من البلاء أن يكون الرأى لمن يملكه لا لمن يبصره . وقد نفذ هذا فرعون عندما قال لقومه : ﴿ **ما أريكُم إلا ما أرى** ﴾ ..

ومنها إن المستبدين يضعون أنفسهم فوق المسئولية ، إنهم يخطئون الخطأ الرهيب ، فإذا افتضحوا كان غيرهم غالبا كبش الفداء ، والشورى إذا لم تق الأمة هذا البلاء فلا معنى لها .

إن كل المصائب التى تحيق بالعرب الآن سببها هزيمتهم سنة ١٩٦٧ ، والغريب أن صانع هذه الهزيمة أو بطلها الفذ لم يوجه إليه لوم ، أو ينسب إليه عيب .

والحكم الفردى عظيم المهارة فى التحريف والتزييف والنجاة من التبعات . !

ومن ميزات الشو رى أنها ترد الحاكم إلى حجمه الطبيعى كلما حاول الانتفاخ والتطاول ، والجماعات البشرية السوية ، فيها رجال كثيرون يوصفون بأنهم قمم . أما البيئة المنكوبة بالاستبداد فدجاج كثير وديك واحد ، إن ساغ التعبير !!

ومقابح الاستبداد بعيدة الاماد ، ومع ذلك فإن بعض المتدينين مصاب بالرمد المزمن فهو لا يراها ، وإذا تلا نصوص الشورى فى دينه قال : .... ثم للحاكم أن يمضى على رأيه لا على الشورى !

إن التقادم لا يسقط الإثم ولا يغير قبح الجريمة ، والتقاليد الرديئة لن يخفف من رداءتها أنها ميراث العصور ، وقد كان الاستبداد الفردى أخبث التركات التى آلت للاحقين من السابقين ..

ومع تطور نظام الحكم انداحت الدائرة التى يبسط الاستبداد فيها اذاه ، ربما كان هذا الاستبداد لا يعدو قطعة أرض كالتى كان « كليب » يضع عليها يده ، ويلقى فيها بجرو ينبح فيعلم الناس ان

هذه البقعة أمست حكرا على « كليب » .. !!

حتى جاء هذا العصر فأصبح الاستبداد قدرة حاكم أو جهاز حكم على فرض الالحاد قسرا وأخذ الأجيال الناشئة به طوعا أو كرها ، كما يفعل الشيوعيون حيث يحكمون ..

أو قدرة حاكم على تزوير الانتخابات العامة ، وجعل الكذب الوقاح عملة متداولة شائعة ، ينظر إليها الكبار والصغار وقلوبهم منكرة وألسنتهم معقودة .

وبذلك يستقر الأفك وينهار الخلق وتمتلىء الحياة العامة بالوصوليين من أهل الجراءة وبالبرادع من أهل الزلفى !

وقد ملأ الحكم الفردى أغلب الأقطار قديما ، وكافحت شعوب عظيمة حتى نجت منه وان دفعت الثمن غالبا حتى استردت حريتها وكسرت قيودها ..

وشهدت الإنسانية عصرا من الشورى على عهد الخلافة الراشدة ، كان الحاكم فيه نموذجا رفيعا للإنسان الطيب المتواضع ، اللين الجانب ، الرحيم بالناس ، السليم من علل التطلع والكبر ، الذى يرى الكبير أبا والصغير ابنا والباقين اخوة . الملتزم بقوله تعالى : ﴿ **تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا** ﴾ .

ولم تقم للشورى يومئذ أجهزة دقيقة لأن طبيعة الحياة كانت تقوم على البساطة ...

ومع ذلك فإن أرقى ما وصل إليه « الغرب » فى حضارته

الإنسانية ، أو فى فن الحكم ، لم يزد عما حققته الخلافة الراشدة من أربعة عشر قرنا ..

قرأت حوارا بين الرئيس كيندى ــ الرئيس الأسبق للولايات المتحدة ــ وبين ممثلى بعض الصحف الأمريكية ، قال فيه صحافى يتحرى الحقائق لأكبر زعيم فى العالم : مستر كيندى ، هل رحلة زوجتك إلى أوربا على نفقتك االخاصة أم من مال الدولة .. ؟

وأدلى « كيندى » بما عنده دون تأفف ..

وذكرت للفور حوارا مماثلا دار بين عمر بن الخطاب وسلمان الفارسى : قال سلمان لعمر بن الخطاب : نرى ثوبك طويلا سابغا ، وكلنا كميش الازار ، ماحصل أحدنا إلا على ملبس قصير فمن أين لك هذا ؟

وأحس عمر كانه متهم باستغلال الحكم فقال : قم ياعبدالله ابن عمر فحدث الناس ...

وقام عبدالله يقول : إن نصيب أبى من الثياب المفرقة لم يكن بغنية لأنه رجل طوال ، فمنحته نصيبى ليكمل حلته .. !

واتضح الموقف ، وقال سلمان : الآن قل نسمع .. !!

لقد وصل الغرب إلى ماوصل إليه من حرية على جسر من الدماء والاشلاء ، أما العرب فإن الإسلام منحهم هذاا الطراز من الحكم هدية من السماء ، وليتهم قدروا ما نالوا وصانوه !!

على أية حال إن طريقة الإسلام فى إدارة دفة الحكم هى التى

جعلت الشعوب تفتح ذراعيها له ، لأن الحكم كان عبادة لله ، و لم يكن شهوة منهوم إلى العظمة ، أو مفتون بالسلطان ..

وإدراك أن الحكم مسئولية مؤرقة هى التى جعلت الخليفة فى المدينة المنورة يعد نفسه مسئولا عن أطراف الدولة البعيدة حتى قال عمر : لو عثرت بغلة فى العراق لحسبت عمر مسئولا عنها لِمَ لم يسو لها الطريق ...

ثم جاء من رأى الحكم غنيمة تكثر فيها الأرزاق ، كما حكوا عن هارون الرشيد . أنه رأى غيمة مارة فقال لها : أمطرى حيث شئت فسيأتينى خراجك !

ثم جاء عبيد يرفلون فى النسيج الغالى ويتطلعون إلى ماهو أنعم كما قال أبو الطيب فى أحدهم !

يستخشن الخز حين يلبسه وكان يرى بظفره القلم .. !!

والويل لأمة يكون الحكم فيها شهوة مريض بجنون العظمة ، أو شهوة مسعور باقتناء المال .. !

وفى ديننا نصوص كثيرة ترفض الرياسة ، والحرص على الامارة ، وتوصى بحرمان عشاق المناصب من المناصب التى يعشقون ..

وفيه ترهيب من استغلال النفوذ ، وجعل الحكم مصيدة للثراء سواء كان ذلك للمرء أم لأقاربه ..

وفيه تخويف من الظلم ، والاستهانة بآلام العامة ، وإيصاد الأبواب دون مطالبهم .

وحسبك أن من ولى أمر عشرة من الناس جيىء به يوم القيامة مغلولة يداه إلى عنقه ، فكه عدله ، أو أوبقه جوره .

ومع هذه الآثار الحاسمة فإن التقاتل على الامارة كان سمة ملحوظة فى تاريخنا ، ولم يكن ذلك بداهة تنافسا فى مرضاة الله وخدمة عباده ، بل كان تنافسا على حطام الدنيا ومتاعها المدبر !!

وعانت الرسالة الإسلامية والجماهير الإسلامية من سيطرة السفهاء .

وما آل إليه أمرنا فى هذا القرن من سقوط الخلافة وعبودية الأمة فى القارات كلها هو النتيجة المحتومة لذلك العوج .

إن الاستبداد السياسى — فيما رأينا من قريب ومن بعيد — ليس عصيانا جزئيا لتعاليم الإسلام ، وليس إماتة لشرائع فرعية فيه ، بل هو إفلات من ربقته ودمار على عقيدته .. !!

وإنى والله أشك فى إسلام عدد كبير من حكام المسلمين ، بل فى إسلام عدد ممن حملوا القابا دينية لها رنين وبريق ، واعتقد أن بقاء الكفر فى الأرض ، والزيغ فى شتى الأفئدة ، يرجع إلى مسالك أولئك الذين شانوا تاريخنا ولوثوا دعوتنا ، وأعزوا من أذل الله وأذلوا من أعز الله ...

ولكى يستبين وجه الحق فيما أقول يجب أن يعرف أن كلمة التوحيد كما تعنى افراد الله بالعبودية تعنى أيضا ما يسمى فى عصرنا بحقوق الإنسان وكرامات الشعوب .

منها فهم عمر أن الناس يولدون أحرارا فليس لأحد حق فى

ان يستعبدهم وأن البشر عبيد أمام الله وحده ، وسادة أمام غيره فما يسوغ أن يتلاشى إنسان وتذوب ذاته أمام إنسان مثله .

فكيف يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ؟ ولماذا تنشأ أوضاع يكون الولاء فيها لشخص ، يهاب أكثر مما يهاب الله ، ويرجى أكثر مما يرجى .. ؟

إن الاستبداد السياسى صنع هذه الأوضاع وحماها .. وقبر تحت ترابها الأخوة الإنسانية والدينية فليس ثم إلا فرد يرغب ويرهب وآخرون يزدلفون ويرتقبون ، ومراسم غريبة لوثنيات سياسية أعقد من الوثنيات التى اختلقتها الجاهليات الأولى ..

أما وجه الله وحكمه ، فشىء يجىء فى المرتبة الثانية إن جاء ...

إن عبادة القصور على امتداد العصور ديانة خسيسة خلقها الحكم الفردى ، وزحم محاريبها بالاقزام والافاكين ..

وهى ديانة زاحمت الإسلام الحق وهزمته فى ميدان الحياة العملية وجعلت العبقريات تتوارى والامعات تتكلم بصوت جهير !!

□ ★ □

كتابات خدام السلاطين

من سنين قرأت أن الشعب الفرنسى فى انتخاب حر قال « للجنرال ديجول » لا أريدك .. !

فجمع الجنرال أوراق مكتبه ومضى فى هدوء إلى بيته .. والجنرال ديجول هو محرر فرنسا من الاحتلال الألمانى ..

قلت : لو كان الجنرال عربيا فى بلد عربى لقال للشعب .. أنا أنحى ؟ إنك أحقر من أن تكون شعبا لى .

إننى سأبقى لأؤدبك حتى تتعلم احترام العظمة .. !

قال لى صديق : أنت مخطىء ، إنه لو كان فى بلد عربى ما أجرى هذه الانتخابات أبدا .

ولو أجراها لهيّأ كل شىء قبل خوضها ليخرج بالأغلبية الساحقة ..

قلت : يظهر ان رأيك هو الأصوب .. !

وتدبرت الأوضاع السياسية فى الأمة الإسلامية ثم شعرت بغصة ، لأن الدين القائم فى ظل هذه الأوضاع مطلوب منه أن يحسن القبيح ويقبح الحسن ، وفى الدنيا منافقون لا تحصيهم

عددا يرحبون بأداء هذه الوظيفة ... أهذا إسلام وأولئك حكام ؟؟

لقد كانت أرضنا ــ قديما ــ تصدر الحق والشرف والصدق والأمانة ، فماذا تصدر الآن فى سياسة الحكم والمال ؟

والغريب أن ناسا يتخذون ما كتب فى عصور الاضمحلال نبراسا ، ويظنونه دين الله ، وبذلك يضللون الأجيال الراغبة فى فهم دينها .

والكتابة فى السياسة الإسلامية لا تقبل إلا من المصادر المعصومة ولا تقبل من خدام السلاطين ومداهنيهم ، ومؤلفات هؤلاء منتشرة فى الأسواق مع الأسف .

قال لى طالب جامعى : إنه قرأ ــ فى تسويغ خروج الحاكم على الشورى ــ موقف أبى بكر فى حرب الردة ، وكيف مضى على رأيه رافضا رأى عمر بن الخطاب وجمهور الصحابة ! وكان الخير فيما فعل ..

قلت له : فى هذا الكلام جملة أخطاء فاحشة ، أولها أن مقاتلة المرتدين ومانعى الزكاة وأدعياء النبوة ليست رأيا اقترحه أبو بكر ، أو اجتهادا خاصا به ! إنه النص الذى ورد فى الكتاب والسنة ، فأبو بكر ينفذ ما ثبت ، ولا اجتهاد مع النص ولا شورى كذلك مع النص ..

ولو كان أبو بكر حاكما مدنيا ما وسعه إلا إطفاء الفتنة المسلحة بالسلاح ، فكيف وهو يعرف الأحاديث التى توجب قتال المرتدين حتى الموت ، والقضاء على اضرابهم من الهمج ؟

ثم من قال : إن الصحابة كانوا ضد هذا الموقف ؟ ذاك كذب محض !

صحيح ان عمر ثارت فى نفسه شبهة ما كادت تولد حتى ماتت ، فما تحولت إلى رأى معارض أو موقف مناقض ، إنها تشبه الذى عرض له عندما أنكر وفاة الرسول بادى الرأى ، ثم ثاب إلى الحق بعد كلام أبى بكر ، وكان أول من جند نفسه للعمل معه فى ميادين الكفاح التى مهدها ..

والذين يسوقون هذه القصة ليضرب الحكم الفردى عرض الحائط برأى الجماعة ، يفعلون شيئين :

الأول : الزعم بأن رؤساء المسلمين وملوكهم على مر الزمان هم فى مستوى أبى بكر ، بل فى مستوى النبى نفسه ، ولهم مالهم من حقوق .

الثانى : ان الخليفة الأول رفض الشورى ! وان الرسول كذلك لم يلتزم بها فى الحديبية ! فلأصحاب الفخامة أن يفعلوا ذلك ...

وعلى أساس هذا الفقه المغشوش تذهب الشورى فى مهب الريح ولا يولد لها جهاز صحيح .

وقد رأينا أن رفض الشورى فى سيرة النبى ﷺ وخليفته الأول اختلاق لا أساس له ..

ولو فرضنا كذبا ان ذلك حدث فمن الذى يعطى ولاة السوء ، وعباد المناصب حقوق النبيين والصديقين ؟؟

وقال لى طالب آخر : إن الأستاذ المودودى يختلف معك فى هذا التصوير للشورى الإسلامية !

قلت : رحم الله المودودى وأجزل مثوبته ، ما أظننى اختلفت معه فى شيء طائل ، ولكن الملابسات التى أحاطت بالرجل جعلت أحكامه ما تفهم إلا فى ضوء هذه الملابسات ..

لقد أيد ترشيح أخت محمد على جناح لتحكم الباكستان ، وفى ذلك ما فيه .

وعندى أنه أفضل أن تحكم الباكستان امرأة من نوع « أنديرا غاندى » عن أن تحكمها عساكر من طراز « يحيى خان » الذى ما كان يفيق من سكر ..

إن المرأة التى رأست الهند استغلت خيبة الحكام العسكريين للباكستان واستطاعت أن تلحق هزيمة فاحشة « بالفيلد مارشال يحيى » قصمت ظهر الدولة الإسلامية الكبيرة وشطرتها نصفين ..

وقد فعلت « جولدا مائير » بالعرب ما فعلت زميلتها الهندية ..

ولو أن امرأة حكمت العرب من هذا الطراز لكان ذلك أجدى على العرب من عسكر وضعوا على صدورهم أعلى الأوسمة ، فلما جد الجد تحول عمالقة الاستعراض إلى معز وضأن ..

إن امرأة على رأس حكم شورى أفضل من مستبد على رأس سلطة مغتصبة ..

وبديهى أن ذلك ليس هو النظام الأمثل ..

والذى أذكره — من قراءة مر عليها ربع قرن — ان المودودى يرفض أن تعترض الشورى حق السلطة التنفيذية فى اختيار الوسائل والأدوات ...

وهذا مقرر فى الأنظمة الحديثة حيث لا تعترض السلطة التشريعية أعمال أختها التنفيذية ..

أما القول بأن الإسلام أقر الشورى فى الحكم ، وأعفى الحاكم من نتائجها ، وان البناء السياسى للأمة الإسلامية يقوم على هذا الأساس فذاك كلام باطل ، وهو قد يقع على السنة لم تحسن دراسة الإسلام ولا تدبر تاريخه ، ولا سير القافلة البشرية فى الشرق والغرب ، ولا وظيفة الأمة الإسلامية فى العالم .

والويل للمسلمين إذا وقعت أزمتهم فى هذه الأيدى القاصرة .

وعلى الشباب المسلم إذا شاء أن يحترم دينه ، أن يحسن فقهه ، والا تستفزه حماسة جوفاء وفتاوى جاهلة ..

ولابد من تحديد مواطن الشورى ، فربما ذهب البعض إلى أنها تدخل فى كل شىء ! إن الشورى لا علاقة لها بالعقائد والعبادات والحلال والحرام ، فهى لا تنشىء طاعة ولا تحل حراما ، إنها كالاجتهاد لامكان لها مع النص ..

ومع أن ذلك معلوم لدارسى أصول الفقه ، فإن من هواة الكلام فى الإسلام جماعة رفضت أن تكون الأمة مصدر السلطة ! لماذا ؟ لأن الحاكمية لله لا للشعب .

وظاهر أن ذلك لعب بالألفاظ ، أو جهل بمعنى التشريع ،

أو خدمة للاستبداد السياسى ..

ولو راجعنا حصيلة المناقشات التى دارت فى مؤسسات الشورى بالعالم كله لوجدناها تتصل بالشئون المدنية ، وربط الموازنة العامة ، واحكام هيمنة الأمة على شئون الحرب والسلام ..

وقد وقع شىء يتصل بالحرام والحلال فى الولايات المتحدة وانجلترا ، فمن نصف قرن تقريبا حرم ممثلو الأمة تناول الخمور والاتجار فيها ، ثم وقعت فى أثناء التطبيق اضطرابات وهزات جعلت الحكومة تلغى التحريم بعد عدة سنين من الحظر ..

أما فى انجلترا فإن مجلسى العموم واللوردات تحت تأثيرات قذرة لم يريا مانعا من إباحة صور من اللواطة ..

ولم تتيسر لى دراسة دقيقة لموقف الكنيسة من هذا وذاك ، والظاهر أنها وافقت على اقتراف هذه الآثام ..

ونحن المسلمين نعرف أن الحكم الشرعى هو خطاب الله المتعلق بأفعال المكلفين ، وان الناس لا يملكون تحليلا ولا تحريما ﴿ **ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب . إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون** ﴾ .

وعندما نتحدث عن الشورى فإنما نعنى جميع الشئون الدنيوية و الحضارية العادية . ثم جميع الوسائل التى تتم بها الواجبات الدينية ، والأهداف الشرعية ..

وعندما ترى الأمة انه لا تفرض ضريبة إلا بإذنها ولا ينفق قرش

إلا بإشرافها ، ولا تقر مصلحة مرسلة إلا برضاها ولا تعلن حرب إلا بموافقتها .. إلخ فذلك حقها بداهة ..

إن ترك ذلك لتقدير فرد عبقرى أو يدعى العبقرية ـــ وأكثر الحكام من أولئك الأدعياء ـــ هو ضرب من الانتحار !

وفى ربع القرن الأخير خاضت مصر حربا فى اليمن أفلست فيها خزانتها ، وتعطلت مرافقها ، ولا تزال دائخة من مغارمها إلى اليوم ذلك فوق عشرات الألوف من القتلى والمصابين ... وقد فعل ذلك حاكم زعم لنفسه أو زعم له المنافقون حوله انه فلتة الدهر بعد مينا وعمرو !

أفلو كانت هناك مؤسسة محترمة للشورى كان يقع هذا الخراب ؟ ..

ثم أنى أسأل : لمصلحة من يصور الحاكم فى الإسلام على أنه رجل ذو سلطات خيالية ، الخضوع لها إيمان والإنحراف عنها خسران ؟؟

قال عمر بن الخطاب لرجل قتل أخاه فى إحدى الحروب : والله لا أحبك ! فقال الرجل : يا أمير المؤمنين ، أيمنعنى ذلك حقا لى ؟

قال عمر : لا ... فقال الرجل لا شىء إذن ، إنما يأسى على الحب النساء .. !!

ولست ممن يرتضون سيرة هذا الأعرابى الجلف .. ولكننى أحببت أن أومىء إلى أن الحكم الدينى ليس كهانة وزلفى ..

وينبغى أن نفرق بين الولاء للدولة والولاء لشخص الحاكم .. إن الولاء للدولة حق ، والانحراف عنها مزلقة إلى الخيانة العظمى ، وقد رأينا فى تاريخنا صحابة وتابعين يخدمون الدولة الإسلامية فى ظل الإدارة الأموية ــ بتعبير عصرنا ــ وهم يكرهون نوع الحكم وسلوك رجاله ..

□ ★ □

الانتخابات بدعة !!!!

كثيرا ما رمقت المعارك الداخلية فى تاريخنا الإسلامى ثم حدثت نفسى : ماذا لو أن النزاع بين على ومعاوية بت فيه استفتاء شعبى ، بدلا من إراقة الدم ..

ولو سلمنا بأن الأسرة الأموية تمثل حزبا سياسيا له مبادىء معينة ، فماذا عليها لو تركت آل البيت يكونون حزبا آخر يصل إلى الحكم بانتخاب صحيح أو يحرم منه بانتخاب صحيح ؟

قال لى متعالم كبير : إن الانتخاب بدعة !

قلت له : وسفك الدم واستباحة الحرمة هو السنة ؟

قال : إن الغوغاء لا رأى لهم .. قلت ألم يكن هؤلاء الغوغاء هم سواد الجيوش المقاتلة مع هذا وذاك ؟ قبلناهم مقاتلين ولم نقبلهم ناخبين ؟!

إننى ــ باسم الإسلام ــ أرفض الأخطاء التى وقع فيها حكامه القدامى والمحدثون .. ليس لأحد من أولئك جميعا حصانة تجعله فوق النقد ..

الذى أعلمه من دينى أن محمدا عليه الصلاة والسلام رحمة للعالمين ، وبركة نامية للمستقدمين والمستأخرين ، وأن الأمويين

والعباسيين والعثمانيين يقتربون منه أو يبتعدون بمقدار وفائهم لله أو غدرهم بوحيه الخالد ...

وتقاليد الحكم خلال هذه العصور هى كأى موروثات أخرى ينظر إليها على ضوء الإسلام ولا ينظر للإسلام على ضوئها .

ومرة أخرى أؤكد أن أوضاعنا السياسية تؤخذ من المصادر المعصومة لا غير .

ونظام الانتخاب كنظام الامتحان أجدر المقاييس بالإيثار والابقاء وإن كان كلاهما يحيف .

وقد سمعت كثيرين يزرون على رأى العامة ، ونظرات إلى ما يطلبون من عوض فلم أر شيئا ...

إننى أحتقر الجاهل الذى يقال له : تعلم ! فيقول : أخشى الترف العقلى ، وأحتقر البائس الذى يقال له أقبل على المال ! فيقول : أخشى طغيان الغنى .

وأحتقر متحدثين عن الإسلام يستكينون فى ظل أحقر استبداد ، فإذا حدثتهم عن عمود الشورى فى الإسلام قالوا ذلك رأى الرعاع !! والأمر لأهل الحل والعقد لا للرعاع ..

وكيف يوجد هؤلاء المأمولون المنشودون المسلمون أهل الحل والعقد ؟ إن كان اختيارهم للحاكم فالأمر كما قال أبو الطيب :

فيك الخصام وأنت الخصم والحكم ...

وإن كان لجمهور الأمة ، فلابد من الانتخابات ..

وسوف يفهم من كلامى أنى أحبذ الأسلوب الغربى فى الحكم ، وربما كان هذا بعض ما أرى ، أما رأيى كله فإنه قبل الاقتباس من أى نظام عالمى للوسائل التى تحقق قيمنا الفريدة ــ يجب احداث تغييرات جذرية فى الطريقة التى نحيا بها ..

لقد كنا فيما مضى طليعة هادية .. ثم أطفأنا نحن ما بأيدينا من مصابيح .. ثم شاركنا الهمج حياتهم .. ثم تقدموا هم وبقينا فى السفوح .. ثم بدأنا نشعر بأوضار الهزيمة وأشواق الرفعة ، وبعد سبات عميق شرعت قافلة الإسلام تتحرك .

بيد أن العالم الإسلامى الطويل العريض لا يزال يموج بجماهير وحكومات لما تبلغ سنّ الرشد .. والعمل الأول هو كيف ينضج ذلك الركام الكثيف من الخلائق .. ؟

والأمر لا يحتاج إلى فلسفة عويصة . فلنشرح ما نريد. ونحن نستقبل القرن الجديد ..

نظرت إلى القلم الذى أكتب به فوجدته أمريكى الصناعة ..

وإلى ساعة يدى فوجدتها سويسرية ..

وإلى المنظار الذى يعيننى على الإبصار فوجدته من ألمانيا ..

وإلى الحذاء. الذى أسير فيه فوجدته إيطالى الصنع ..

ثم إلى الثوب الذى أرتديه فوجدت المصدر من الصين الوطنية ولكن الحياكة عربية ..

أما الملابس الداخلية فهى من مصر ثم تذكرت أن الآلات التى

نسجتها من أوربا ..

وأخيرا نظرت إلى السيارة التى تقلنى إلى عملى فكانت من اليابان .. !!

ماذا صنعنا نحن ؟ لا شىء ! هل العالم كله منتج ونحن مستهلكون ؟ ذاك شىء يخزى ..

وقلت : إنهم متقدمون فى مجال الصناعة ــ أعنى غيرنا ــ ولنا مجال آخر .

ووقعت عينى على صحيفة محلية بها إعلانات شتى ، هذا عن الدجاج الفرنسى ، وذاك عن التفاح الفرنسى ، وهذا عن الكعك الفرنسى ..

وأنا أعرف أن طائرات « الميراج » الفرنسية سلاح محذور ، وأن مهارة الفرنسيين فى الآلات الكهربية والالكترونية شىء يتحدث به الخبراء ..

إن تقدم « غيرنا » ملحوظ فى كل مجال ! فماذا نصنع نحن ؟

وصدمنى الجواب المر ، إن شعوبنا تعانى التخلف الذى يعانيه طفل يسير وراء أبيه ، أو تلميذ وراء أستاذه !!

إننا شعوب لما تبلغ بعد سن الرشد ، سن الانتاج والاستقلال والاستغناء ..

فهل نحن بهذا القصور العاجز أهل لخدمة الإسلام ؟ أو حتى أهل للانتساب إليه ؟

ونظرت إلى حكوماتنا ، وهى كلها من أركان العالم الثالث فماذا رأيت ؟ إن العالم الآن تحكمه فلسفتان شائعتان ، كلتاهما تقدم منهج حياة وأسلوب عمل[1] ..

الشيوعية الكافرة سواء كانت روسية أو صينية ..

والديمقراطية الغربية سواء كانت رأسمالية أو اشتراكية .

وقد استطاعت الشيوعية أن توسع رقعتها وترسخ أقدامها فى أماكن كثيرة حتى هيمنت على ربع العالم أو ثلثه ، وقادتها أذكياء فى استغلال أخطاء الخصوم ، والخلل الذى يملأ صفوفهم .

كما أن الشيوعية أفلحت فى أن تكون أملا للشاكين من الحرمان والضائقين بالهوان ، فهفت إليها أفئدة الأغرار والحالمين فى شتى القارات ..

أما الديمقراطية الغربية فقد لمت شملها فى غرب أوربا ، وتعاونت مع أمريكا الشمالية واستراليا على دعم الحريات الفردية — بمفهومها هناك — وقبلت التعاون مع رجال الكنيسة وإعطاء مكان للدين فى المجتمع .

واستغلت هى الأخرى جشع الروس فى اغتصاب جيرانهم ، وأعلنت أنها — وحدها — حاملة راية التحرير والكرامة الفردية ..

والحقيقة أن لكلتا الفلسفتين أنصارا مخلصين مهرة . وان الصراع بينهما له بواعثه الممتدة ..

---

(١) حدث تغيّر عالمى تجاوز به العالم هذه الأوضاع التى كان لها شأن .

وقد انقسمت الدول العربية والإسلامية فى تبعيتها لاحدى الجبهتين ! بعض الحكومات يدور فى الفلك الشرقى ، والآخر يدور فى الفلك الغربى ...

لماذا ؟ لأنه ليس للعرب والمسلمين منهج عمل إسلامى ، بل ليس لهم ولاء عارم للإسلام وتشبث ظاهر بعقائده واخلاقه ومثله وشرائعه ..

ومن ليس له من ذاته ما يحركه ويوجهه لا يستغرب منه أن ينجر وراء الآخرين ..

وقد لاحت فرصة ليقظة أساسها الإسلام لما أقبل اليهود باسم التوراة يمحون الوجود العربى الإسلامى فى فلسطين ..

ولكن الزعماء العرب استماتوا فى جعل قضية فلسطين جنسية لا إسلامية ، وبلغوا هدفهم .

والقضية الآن من وجهة نظر اليهود دينية توراتية أما من وجهة نظر العرب فهى ... توفير الخبز والسلام والحرية لجماعات من المطرودين اللاجئين .

وإذا ذكر أحد الإسلام كمم فمه وغلت يده وسمى رجعيا .

أما بيجين وأحزابه فهم تقدميون ! شرفاء !

هل اتضح معنى ماقررته من أن الشعوب والحكومات العربية لما تبلغ سن الرشد ؟ إنها فى وصاية غيرها ماديا وأدبيا ، إنها عالة على غيرها فى طعامها وسلاحها جميعا ..

وقد هبطت إلى ذلك الدرك لخوائها الروحى والفكرى ..

ومسئولية ذلك التخريب تقع على عواتق نفر من الفقهاء والدعاة والرؤساء والساسة ...

وإذا كنا سنستقبل القرن الخامس عشر مستصحبين عوامل الهبوط فلن تزداد أمورنا إلا خبالا .

يجب أن نراجع أنفسنا على عجل كى نضمن الحياة لديننا ولأنفسنا ..

□ ★ □

حول تطبيق الشريعة

إن خدمة الإسلام فى هذا العصر عمل صعب معقد يحتاج إلى تجرد تام وفقه رحب ..

فأمام ركام من المواريث الثقافية والاجتماعية لابد من جراحات جريئة لبتر البدع والأوهام والمراسم التى تغلغلت فى حياتنا الخاصة والعامة وأفسدت نظرتنا للدين والدنيا ..

وأمام ركام من التقاليد التى رمتنا بها الحضارة الغالبة لابد من بصر دقيق بما ينفع وما يضر ! دون تشاؤم قابض أو ترحيب غافل ..

إننى أحيانا أغلغل البصر فى النظام الشيوعى نفسه لأتعرف الجوانب التى تجتذب الجماهير ، والتى قد تكون بها اثارة من حق ، فقد تكون مأخوذة من تراثى أنا ، فإنى أذكر من سيرة « كارل ماركس » انه قرأ كتاب الخراج « لأبى يوسف » .

ويوم آخذ هذا الجانب فهى بضاعتنا ردت إلينا .

ثم إننى محتاج إلى الاستفادة من نشاط العقل البشرى فى كل قارة وفى كل حضارة إذا كان هذا النشاط يدعم قيما مقررة عندى ..

وأجدنى مضطرا لذكر أمر مثير سوف يصطدم به خدام الإسلام الصادقون ! هو الحقد المتنقل على مر القرون ضد محمد ﷺ ورسالته الخاتمة ..

إن الصهيونيين والصليبيين والملحدين من وراء المجازر الرهيبة التى تعرض لها الدعاة وجمهور المؤمنين فى أرجاء العالم الإسلامى الكبير .

وقد استبنت أن بعض زعمائنا كانوا مخالب قط فى مؤمرات محبوكة للأجهاز على الإسلام وبنيه ، وقد تتكرر المؤامرة وتتعدد المآسى ، وعلى المسلمين أن يصمدوا فإما الشهادة وإما النصر ...

على أن حركات الجماعات العاملة للإسلام هى السبب الأهم وراء انتصاراته وهزائمه ، ولنقف وقفة متدبرة عند هذه القضية .

إن الإسلام عقيدة وشريعة ما يشك فى ذلك عاقل ، وتطلعه إلى أخذ مقاليد الحكم اتجاه طبيعى لتحقيق أهدافه .

بيد أن الترتيب المستفاد من تعاليم الإسلام أن تكوين الدولة يتم بعد تكوين الفرد ، وأن وضع النظام يجىء بعد انضاج الإيمان ، وقد تنزلت آيات الأحكام بعد مهاد عريض من اليقين والاخلاص وإرادة الآخرة ..

إن التطلع إلى الحكم كما يكون لإعلاء كلمة الله قد يكون لرغبات خاصة كامنة أو مكشوفة .. !!

والحكم الإسلامى قبل أن يكون لمعان أسماء أو تسنم مجد هو تفان فى الله ورغبة فيما عنده ..

وإلا فالأمر كما قال الله ﴿ **من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون . أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون** ﴾ .

وقد كنت أعظ نفسى وإخوانى بهذه الحقائق من ديننا ، وأقول : إنه قبل أن يكون المرء صاحب منصب رسمى يستطيع أن يؤدى للإسلام أجل الخدمات فى الميدان الثقافى والاجتماعى ..

والذين يسوفون فى البلوغ بأمتهم سن الرشد — حتى يتسلموا أزمة الحكم — لن يفعلوا شيئا طائلا حين يحكمون ..

وقلت — لنفسى وإخوانى — إن الحكام فى الشرق العربى والإسلامى يعدون المناصب حياتهم .. فالرئيس أو الوزير فى أوربا مثلا قد يترك وظيفته ويسير آمنا فى أية مدينة أو قرية ..

أما فى شرقنا العليل فإن عددا من الزعماء إذا ترك الحكم تابعته ترات قد تودى به ، وتخترم أجله ، ومن ثم فإن حرصه على الحكم لون من دفاعه عن حياته ..

ورؤساء كثيرون يشعرون بالخطر على أشخاصهم إذا أحسّوا أن الدعاة المسلمين ينشدون الحكم أول ما ينشدون ..

ومن أجل ذلك فهم يشمون رائحة الموت من وراء المطالبة بالحكم الإسلامى .

ونحن المسلمين لسنا قتلة ، ولا تحركنا عداوات خاصة ، ولا نطلب الحكم لنحيا ويفنى غيرنا ..

ويسرنا أن نكون فى الصف الثانى إذا احتل الصف الأول من يحقق مراد الله ...

وفى الصف الثانى مجالات هائلة لمن يريد أن يسدى للإسلام يدا ، وإذا كان حجم مايتم فى هذا الصف قليلا ، فلا ضير علينا ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها ..

من أجل ذلك أطلب بالحاح أن تنشغل الجماعات الإسلامية بترقية شئون الأمة فى نطاق ماتقدر ، ويجب أن تعلن باستمرار أن الإسلام دين ودولة ، ولكن هذا الاعلان لا يجوز أن يكون عملها الشاغل ..

إن الأمراض النفسية بالغة الخفاء شديدة الخطر ، وتحقق لى ذلك ــ فى صفوف المتدينين ــ وأنا أرقب الحرب بين المجاهدين الأفغانيين والزحف الشيوعى المجتاح للبلاد .. !!

كانت هناك ست جبهات أو ست طوائف تقاوم غارة أولئك الكفار المجرمين ، وقد حاول أولو الألباب جعلها جبهة واحدة وبذلوا جهودا موصولة لإزالة الفرقة ، وكان نجاحهم جزئيا ولا تزال المحاولات تبذل .. !!

إن قلب الإسلام مهدد بالتوقف فى أفغانستان ، والموت يأتى من كل جانب ومع ذلك فالرؤساء الكبار حراص على مناصبهم أو على زعامتهم .. !!

إن فى ذلك مؤشرا إلى مهاب الهلاك ، ومصادر العطب ...

وإذا كان نصر الله يتنزل فى هذه الميادين القصية فمن أجل الجنود المجهولين وذوى الكفايات الذين لا يعرفون إذا حضروا ولا يسأل عنهم إذا غابوا . !

لقد استيقنت من تجاربى أن قلة الفقه سوء كبير ! لكن غش النية سوء أكبر ..

هناك مسلم « سلفى » يموت ولا يضع يده فى يد مسلم « صوفى » ، هل هذا يصلح للدفاع عن الأمة أو السير بتعاليم الإسلام فى الميدان الدولى ؟؟

وهناك مسلم يرى أن العمامة لباس الإسلام الرسمى ، ويجب أن يكون لها ذنب ، ويرفض الصلاة وراء من لا يرتدى هذا الزى ، أذلك امرؤ يصلح للدفاع عن الإسلام أو السير به فى الميدان الدولى ؟؟

إن أمتنا مصابة من الناحية الفكرية والخلقية بعلل شتى ، وكل جماعة تؤخر علاج هذه العلل ، وتجعله فى المرتبة التالية ، فهى هازلة فى جهادها ، متهمة فى قصدها ..

وقد أشرت إلى الخلل الهائل ، الموروث أو الطارىء ، فى كياننا الدينى ، وبقى أن نتكاتف ضده ..

ونعود إلى ما بدأنا به ..

إذا كان هناك أقوام اختصموا فى ربهم فنحن المسلمين طرف فى هذه الخصومات الباقية إلى آخر الدهر ...

نقول لمن ينكر وجود الله : كذبت ، الله حق ! والكون كله

خلقه الفقير إليه ، القائم به !

ونقول لمن يرى الالهة ثلاثة أو أقل أو أكثر : ضللت فالله واحد ، وما عداه عبده سواء كان ملكا أو إنسا أو جنا ..

ونقول لأهل الأرض كلهم : إن محمدا رفيع الشأن ، عرف الناس بالله أحسن تعريف ، وأعدهم للقائه بعد الرحيل عن هذه الدنيا بأمرين ، الإيمان والصلاح ﴿ **ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى وإلى الله عاقبة الأمور** ﴾ .

ومن حق الإسلام أن يحيا ، ويبقى وينمو ، ويمتد ! مادام هناك مستمسك به ، راغب فيه .

ولكننا نشعر بأن أعداءه يضنون عليه بهذا الحق ، ويحاولون بالختل والجهر القضاء عليه ، أو تقليص وجوده فى أضيق نطاق ..

وقد استطاع أعداؤنا ــ بتفريطنا وخبثهم ــ أن يحرجونا وينالوا منا ويذلوا جانبنا ..

ولكننا صحونا من غفوتنا ، أو قمنا من كبوتنا ، وشرعنا نؤكد وجودنا ، ونوصد أبواب الفتنة التى انفتحت علينا من شرق وغرب .. !

وأحب أن تربو مشاعر الثقة فى قلوب المسلمين الذين كتب عليهم أن يكونوا قلة فى أوربا أو أمريكا أو آسيا أو إفريقيا ، وأن يستمدوا هذه الثقة من أنهم وحدهم الذين يعرفون الحقيقة التى بلغها أنبياء الله ، وان مواريث السماء التى معهم لا تحريف فيها ولا غلو ولا إفك .. !!

إن الباطل لا يرفع خسيسته أن يكون صاحبه غنيا أو قويا .. المهم أن يكون أهل الحق صورة مشرفة له مترجمة عنه ..

فى انجلترا وفرنسا أربعة ملايين مسلم ، إن هذه الملايين الأربعة بين مائة مليون من البشر التائهين عن الله يمكن أن يكونوا هداة مقدورين ، وأساة مشكورين ، يوم يكونون مسلمين حقا .

وسيكونون سبة للإسلام ، وسدا دونه يوم تكون عقائدهم زائغة وخلائقهم هابطة .

إن حساب العدد يختفى ، ويبرز حساب الكيف والأثر فى بيئات كثيرة ..

والهزيمة أو النصر شعور داخلى قبل أن تكون ظروفا خارجية .

كان أحد العسكريين ــ فى الخمسينات أو الستينات ــ يحدثنى عن قطاع غزة ، وأنه خمسون ميلا على ساحل البحر فى عرض عدة أميال من فلسطين المحتلة ، وإن الدفاع عنه عسر !

قلت له : هذا الشعور أول أسباب الهزيمة ، إن الجندى الجرىء الجسور يشعر بأن القطاع ــ فى شكله الحالى ــ رأس حربة ينفذ منها إلى بقايا الوطن المغتصب ، ويعده كسبا لا عبئا ، أما الخور فيتحدث عن الوضع باللغة التى تقول .

إن الأقليات الإسلامية فى العالم تبلغ ثلاثمائة مليون كما ذكرنا أول هذه الرسالة ، وهذا العدد إذا كان اتصاله بالإسلام عن طريق شهادات الميلاد ، فإن عشر هذا العدد من الوثنيين المشركين سوف يغلبه ، ويلحق به الخسار ..

وعندى حديث آخر إلى المسلمين الذين يعيشون كثرة فى بعض أقطار أفريقية ، كثرة تبلغ ٧٠ ٪ فى تانزانيا و ٩٥ ٪ فى السنغال .

إن هذاا الوضع شاذ بالغ الشذوذ ويجب أن يتغير لا بالحماس الطائش ولكن بالاعداد الذكى ، والخطى المدروسة ..

لقد اتضحت سياسة القوى المعادية للإسلام ، فقد قسمت الكيان الكبير أكثر من سبعين قطعة ، ثم وفرت لكل قطعة من العوامل المادية والأدبية ما يجعل الإسلام فيها يذبل ويتلاشى على مر الأيام ..

والخطة واحدة فى الأجزاء التى سميت دولا مستقلة ، والأجزاء التى يحيا فيها الموحدون قلة منقوصة منكورة .

ولعل من إخواننا المتفرغين من يشرح فى رسائل صريحة كيف تم صنع خمسين دولة فى إفريقيا وآسيا يتيه فيها المسلمون ، ويحيون دون رباط روحى أو فكرى ودون كيان اجتماعى أو اقتصادى .. وكيف شغلوا الجماعات الإسلامية فى الدول المستقلة بقضايا سخيفة ، ومعارك خاسرة ..

وكلمة أخيرة إلى المسلمين فى دولهم المستقلة .

إن الفرق بين العالم الأول والعالم الثالث لا يرجع إلى أن المتفوقين قادرون على غزو الفضاء وصنع الطائرات العملاقة ، إن هذا مظهر التفوق لاسببه ..

الواقع إن الفرق هو النشاط الذهنى عند هؤلاء والكسل الذهنى عند أولئك ، هو غزارة العلم هنا وضآلة العلم هنالك ، هو توفير الفرص لنمو الأقوياء فى الشعوب المتقدمة ، وتوفيرها لنمّو التافهين

والسفلة فى الأمم المتخلفة ..

أى إنها أسباب خلقية ونفسية قبل أى شىء آخر ..

ويستطيع المسلمون المخلصون أن يقهروا العقبات التى تعترضهم فى هذه الميادين مهما كانت جسيمة ..

ونحن لا نكلفهم بصنع المعجزات ، فلينظروا إلى خصومهم اليهود وكيف تحملوا التحريق والتمزيق وصنعوا من آلامهم جسرا عبروا عليه إلى أرضنا وعرضنا ..

إننا نمثل أصدق وأقدس رسالة لعبادة الله ، وترشيد الحياة وتكريم البشر ..

وعلى العرب أن يعرفوا فضل الإسلام عليهم ، وانه أكسير وجوذهم وبقائهم ، لقد دخلوا به التاريخ فلما خانوه خرجوا من التاريخ أذلة مطرودين .

نعم ، هل العروبة هى التى هزمت فارس والروم ؟ لو أن العرب خرجوا من جزيرتهم يحدوهم عمرو بن كلثوم ببيته المشهور :

ونشرب ان وردنا الماء صفوا ويشرب غيرنا كدرا وطينا .. !!

لضربوا بالنعال على حدود الدولتين العتيقتين ، ولكنهم خرجوا وراء عمر الخاشع لربه المتساوى مع خادمه الذى خاض بقدميه بركة ماء دون تأفف وهو يقول : كنا أذل الناس حتى أعزنا الله بهذا الدين فمهما ابتغينا العز فى غيره لن نفلح ..

على هذه الهيئة التقية المخبتة لله تسلم مفاتيح بيت المقدس ..

ونقولها لغرب اليوم بصوت عال : إن فلسطين لن يحررها إلا جيش مسلم ، أما تجمع العرب بلا دين فلن يحرر جحر نملة . !!

ويجب أن يكون ولاؤنا للإسلام جادا ، متقدما على كل ولاء آخر للتراب أو للدم ..

ومقتضى هذا ألا ينقطع لنا جؤار بضرورة الغاء القوانين الاستعمارية وجعل الشريعة الإسلامية المصدر الأوحد للقوانين كلها ، وانعاش المعاهد الإسلامية المتخصصة حتى تستطيع سد كل ثغرة واجابة كل مطلب ..

إن محو الإسلام فى ميدان التقنين كان العمل الأول للاستعمار يوم عسكرت جيوشه فى بلادنا ، ومشت تختال على أنقاضنا ، ومقدساتنا المهشومة .

من أجل ذلك لا ينبغى التسويف فى إعادة الحياة للشريعة التى اماتوها ، ورد مكانتها الرسمية المقصاة ..

وسوف يقاوم ذلك الأعداء التقليديون للإسلام الراغبون فى محو معالمه وفض اتباعه ..

وبديه أن ينضم اليهم سماسرة جدد ، هم الشيوعيون الحانقون على كل ماله صلة بالسماء .. لقد تضافر هؤلاء وأولئك على محاربة الشريعة المبعدة ، وافتراء الأكاذيب عليها وعلى رجالها ، ولا دافع لكل هذا الغل إلا الكفر بالله ورسله ..

دهشت لأستاذ جامعى كبير كان مربوط اللسان مكسور القلم أيام الاحتلال الانجليزى ، وما عرف له فى المقاومة العامة تاريخ

ولا شبه تاريخ .. وبغتة أخذت الصحف تنشر مقالات ملتهبة للرجل الذى سكت نصف قرن عن الاسهام بكلمة فى الحياة العامة ، كلمة لها قيمة وبعد ..

ماذا يريد هذا المتحرك المفاجىء ؟ شتم المطالبين بتحكيم الشريعة والزعم بأن قطع الأيدى يتم فى « الشفاخانات » .. !!

إن الرجل الذى لم يعرف بالدفاع عن وطنه أصبح مدافعا عن اللصوص وسنجد فى الطريق كثيرا من هؤلاء « الأذكياء » ولن يعوقوا القافلة السائرة ..

وعلى جماهير العرب أن يرفضوا تهويد أى بلد من بلادهم أو تنصيره ، إن ذلك معناه سقوط مايسمى بالشرق الأوسط فى براثن الاستعمار العالمى ، وعندما يضرب القلب فلا قيمة للأجنحة .

إن هزائم القرن الرابع عشر أغرت بنا من لا يدفع عن نفسه ، ولقد تناوبتنا اللطمات على الخد الأيمن والأيسر ، وشعرنا بمعاناة هائلة من كثرة ما نالنا ..

لا بأس ، نحن الذين مكنا أعداءنا بنومنا الطويل ، واسترسالنا مع الأوهام ، ولم نع قول ربنا ﴿ **ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة** ﴾ ..

واليوم ، ومع مطالع القرن الجديد تدق طبول اليقظة .

إننا سنحيا برسالتنا وسنحيا لها ﴿ **وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون** ﴾ ..

أظننا لن نحرز نجاحا يذكر خلال القرن الجديد إذا بقينا على فقهنا الضيق المحدود الذى عشنا به خلال القرون الأخيرة ، فإن هذا الفقه لم يعالج الخلل المتوارث فى علاقة الحكومات بالشعوب ، ولم يساند الحريات الصحيحة ، ولم ينم القدرات على علاج الأخطاء السياسية والاقتصادية الشائعة فى بلادنا ..

وفى بلادنا تقاليد ربما كرهت الحرام ـــ أو الرذيلة ـــ لأن فى الضمير الدينى بقية حياة ..

ولكن هذه التقاليد لا توسع دائرة الحلال ، ولا تزيح العوائق المبعثرة فى طريقه ، فكانت النتيجة أن حرمة الزنى مثلا بقيت ! ويجب أن تبقى ـــ ولكن الزواج تكاثرت حوله الصعاب ، حتى يئس البعض من مناله ..

وهذه السلبية فى الفكر الدينى ترشحه للموت ، ولا تؤهله للحياة ..

ومثل ذلك اجماع أهل الدين على أن الظلم حرام ، والكذب حرام ومع ذلك فهم يسكتون سكوت المقابر إذا وقع تزوير عام فى انتخابات لخدمة فرد ، كأن الكذب يستنكر إذا كان بسيطا ، ويسلم له إذا كان مركبا . !

ومن المستحيل أن تصلح الأوضاع السياسية للمسلمين إذا كان الدين فى وعيهم يهتم بفقه الحيض والنفاس ، ولا يكترث لفقه المال والحكم ، بل إن مستقبل المسلمين كله سيخضع للحديث الصحيح « لا تقدس أمة لا يقضى فيها بالحق ، ولا يأخذ الضعيف حقه من القوى غير متعتع » .

لماذا لا نقتبس من الديمقراطيات الغربية

إن الديمقراطيات الغربية اجمالا وضعت ضوابط محترمة للحياة السياسية الصحيحة ، وينبغى أن ننقل الكثير من هذه الأقطار لتسد النقص الناشىء عن جمودنا الفقهى قرونا طويلة ..

وقد قلت ومازلت أقول : إننا أغلقنا باب الاجتهاد قرابة ألف عام ، فإذا سبقنا غيرنا فى شئون إنسانية مطلقة ، فلا معنى لاستكبارنا عن الافادة منه ، ولا معنى لابتداء السعى من حيث وقفنا متجاهلين كدح غيرنا نحو الكمال !

والنقل والاقتباس هو فى خدمة مبادىء مقررة عندنا ابتداء ، أى اننا ما خرجنا عن خطنا العتيد ، ولا ارتضينا أهدافا أخرى ..

إذا حصنت الشورى هناك بضمانات شتى لمنع الطغيان ، واقدار المحقين على النصح والنقد والمعارضة فى أمان ، فلحساب من ترفض هذه الضمانات ؟ لله ولرسوله أم للفساد السياسى المتوطن فى أكثر من قطر ؟

إذا حصّنت الأموال العامة والخاصة بضمانات مضاعفة لتنقية المكاسب ، ومنع السلب والنهب ، أو إذا بحثت أحوال المرهقين والعجزة لسوق عون شريف لهم ، فما الذى يصدنا عن نقل هذه الحصانات والاستقصاءات لحراسة مجتمعنا ؟ الحق ان التقاعس فى

هذا المجال لا يقع إلا لخدمة ولاة السوء وحواشيهم ، وإبقاء الجماهير حبيسة تقاليد وضعها لصوص كبار ...

فى الربع الأول من القرن العشرين حصلت مصر على دستور من أحدث الدساتير وأقواها على حماية الأفراد والجماعات ، لم يعبه إلا أنه اعتبر منحة من « الملك » ، بيد أن بنوده أمكنت النواب من اعتراض نفقات الملك لما أراد أن يصلح باخرته الخاصة من الموازنة العامة !

وانتصرت إرادة الشعب ، وسد باب من أبواب السطو الملكى الكريم !!

وبقى هذا الدستور ثلاثين عاما ، عطل فى أثنائها مرة ، وزورت الانتخابات فى وجوده مرارا ، ومع كل الأزمات التى أصابته فإن الحريات العامة تغلبت على العلل المصنوعة ، فنمت الرجولة ، ونضجت الكرامة ، وانتعش العلم والأدب ، وتكونت جماعات دينية قوية ، واستطاع الإخوان المسلمون أن ينسجوا شبكة من الشعب الفتية فى أرجاء البلاد كلها .

لكن الأمر الذى يقبض الصدر ويحدث الأسى أن موقف المتدينين من هذا الدستور كان قلة الاكتراث .

فالأزهر الرسمى كان إلى جانب القصر الملكى ، والهيئات الإسلامية الشعبية تقدر النعمة المتاحة لها فى ظل هذه الحريات المبذولة ..

ولكن شيئا من هذا لم يكن يجيز لجمهور المتدينين أن يقف

متفرجا فى ميدان الصراع بين القصر والوفد على احترام هذا الدستور أو إسقاطه ..

فإن ضياع الحرية واستبداد الفرد هما مهلكة الأمم والقيم وذهاب اليوم والغد ..

ذلك ، والرجال الذين لا يكسبون نصراً للدين فى مجال الحرية ليسوا أهلا لقيادة ، ولا احقاء بالبقاء فى أى ميدان .

وأذكر أنى — من ثلث قرن — قابلت أستاذى الكبير الامام حسن البنا ، لأشكو إليه موقف المتدينين عامة من قضية الحريات الدستورية ، وكان يصحبنى الأستاذ خالد محمد خالد ، وبوصفى عضوا مؤسسا فى جماعة الإخوان فقد تحدثت يومها كثيرا ، وكان حوار عاصف قلت فيه : إن المركز العام لا يدفع عن الدستور كما ينبغى ، وتمادى بى الغضب فقلت : كأنى أسمع جرس الملكية يدق هنا !!

وكان الإمام الشهيد أحلم منى وأرزن ، فرد اتهامى بلطف ، وأصدر أمره إلى مجلة الإخوان أن تنشر لى ما أكتب ولو كان ضد سياسة الجماعة !!

ويرحم الله الرجل الكبير ! إن الملكية الخائنة أهدرت دمه ، واستباحت جماعته ..

ومضى الاستبداد فى طريقه ، فإذا حريق هائل يلتهم بقايا الإيمان والرجولة فى البلد المحروب ، ولم يعرف المتدينون — إلا بعد تجارب طاحنة — ان الحرية مهاد الاباء والخلق واليقين والإخلاص ..

إننى بوحى دينى وتجربتى أرفض الاستبداد السياسى جملة وتفصيلا ، وأقرر أن المذاهب الإلحادية ما تبلغ هدفها إلا فى غياب الدساتير الصحيحة وتزييف إرادات الأمم ، وتمكين نفر من الفراعنة ليعبثوا بالحياة العامة كما يشتهون !!

وأقرر كذلك أن المنتسبين إلى الدين حين يجهلون هذه الحقائق ، فهم أعداء أنفسهم وأعداء دينهم على سواء ، وان مقاليد الأمور فى أيديهم لن تكون إلا ظلمات بعضها فوق بعض .

إن رجل الشارع فى القاهرة أو بغداد أو دمشق لا يجوز أن يكون أقل استمتاعا بالحرية أو مناقشة للحكم من أخيه فى لندن أو باريس أو واشنطن .

ويوم يكون المسلم أدنى من غيره فلا كرامة للدين الذى يعتنقه !!

وهنا يرد سؤال مهم : قد قررت نوع الحكم الذى يجب أن يسود كل بلد إسلامى ، والمعروف أن المسلمين اليوم بين ربع العالم أو خمسه ، فما الرباط السياسى الذى يجمع بينهم ، ويضم شتاتهم ؟

إن هذا السؤال يقفنا حتما أمام طبيعة الرسالة الإسلامية ، والأخوة التى تجمع بين أبنائها على اختلاف العروق والألوان ، وهو سؤال يقفنا أمام تاريخ طويل للخلافة الإسلامية فى صورها الوسيمة والدميمة على سواء !

ظاهر من طبيعة الإسلام انه دعوة متحركة تعرض نفسها على أى إنسان حيث كان ، والقرآن الكريم إنسانى النزعة والوجهة

يتعامل مع الفكر المجرد ، ويتخطى العصبيات والجنسيات ليستقر فى القلوب وحدها .

ومن ثم فإن جهاز الحكم فيه ، أو منصب الخلافة باسمه يقوم على هذه الأسس :

(أ) نشر الدعوة الإسلامية فى كل مكان .

(ب) رد الشبهات التى قد تثيرها الدعوات المضادة .

(جـ) تحشيد قوى المؤمنين ضد أى عدوان يجىء من هنا أو هناك .

(د) الاسهام مع قوى الخير فى العالم على رفع مكانة الإنسان عامة .

ودعامة ذلك كله أن تكون الأمة الإسلامية نفسها صورة صادقة لدينها فى الداخل والخارج ..

ولا نستطيع الزعم بأن الخلافة الإسلامية فى القرون الغابرة نهضت على هذه الأسس ..

والمسلمون مجمعون على وصف دولة الخلافة الأولى بأنها خلافة راشدة ! هل يعنى ذلك أن وصف الرشد حكر على الأربعة الأوائل ، وان الخلفاء بعد ذلك ليسوا — على الإجمال — أهلا له ؟

الواقع ان جمهور المسلمين كاره ، أو ضائق ، أو منكر ، أو منحرف عن أغلب الخلفاء الذين ولوا أمره !!

وقد سمى عمر بن عبد العزيز الخليفة الراشد الخامس وهو

من الأمويين وقد تجد سادسا أو سابعا من العباسيين أو العثمانيين .

أى أن الراشدين يعدون على الأصابع خلال أربعة عشر قرنا ، أما جمهور الخلفاء بعد ذلك فهم حكام حظ الدين منهم قليل ، وأنصبتهم من العلم والدعوة تافهة ، ومع ذلك فقد حكموا باسم الإسلام ، وحاولوا تكميل نقصهم بطرق شتى من الولاء له وتبنى شعائره وشرائعه ودعم سلطانهم به ...

والخلافة نيابة عن رسول الله ﷺ فى رعاية مصالح الأمة الدينية والمدنية ، أى أنها أبوّة روحية وثقافية وسياسية للمسلمين كافة تعبد الله بتعهد خلقه والسهر على شئونهم ، ومن هنا كان الإمام العادل أول السبعة الذين يظلهم الله ، يوم لا ظل إلا ظله ..

وقد تقلصت هذه الحقيقة على مر العصور بنسب متفاوتة ، وتحول الخلفاء إلى أناس يخْتِلون الدنيا بالدين ..

ولعل السبب الأول هو نظام الوراثة الذى جعل الأهواء البشرية تهزم القيم الدينية ..

فالمفروض أن يختار الناس ــ بطريقة ما ــ أفضل رجل فيهم ليكون قائدهم وإمامهم ، بيد أن هذا الفرض استبعد ، لتقذف الوراثة برجل من بنى أمية ، أو بنى العباس ! فيفرض نفسه على الألوف المؤلفة فى أقطار الأرض الواسعة ، سيدا مطاعا ، وإماما مهيبا !!

والمواهب الإنسانية لم تأخذ هذا الحظ فى البروز والتألق ، فقد كان أبو الطيب شاعرا مفلقا ، ولم يرث ذلك عن أبيه أو أمه ولم يورث فنه الأدبى ابنا له ، ولكن قانون الخلافة ألزم الجماهير

بتحية الاعجاب تقدم لابن المتنبى العاجز ، أو لابن أبى العلاء الذى لم يولد !!

ولولا التاريخ العلمى للإسلام ، ولولا جهود الاتقياء من فقهائه ودعاته ومربيه ومجاهديه المشهورين والمغمورين لغربت شمسه من زمن بعيد ..

وكان آخر الخلفاء ــ أو السلاطين ــ من آل عثمان شبحا محقورا لهذا النظام الجائر ، فلا عجب إذا رمى بالخلافة فى البحر قائد متفاهم مع الصليبية العالمية التى طال تربّصها وبلغت آخر الأمر مرادها ..

إن المحنة التى أصابت الإسلام بفساد أوضاعه السياسية طويلة الذيول ، مستطيرة الشر ! ولا يفكر مؤمن عاقل فى إعادة الخلافة الإسلامية بصورتها المستقبحة التى ظهرت بها ..

ولكن التفكير يشغل ألوف المؤمنين فى ضرورة عودة الخلافة على نهجها الراشد الأول ، وكلما مر يوم شعر المسلمون بفقرهم إلى قيادة عامة تلم شملهم فى المشارق والمغارب ، ذلك أن للقوى المعادية قيادات عامة ترسم خططها بخبث ، وتضرب بعضهم ببعض دون هوادة ، فما يجوز بقاؤهم على هذه الفرقة القاتلة ..

لنبحث إذن كيف تكون للمسلمين وحدة شاملة وخلافة عظمى .. ؟

تساءلت : ألا يمكن تحوير ودعم المؤتمر الإسلامى لتحقيق هذه الغاية ؟ إن المؤتمر يتكون الآن من أربعين دولة مسلمة ، بيد أن

المسلمين أوسع دائرة من هذه الدول الاربعين ، إن القلة المسلمة فى الهند أربى من عشر دول عربية .

ومعنى هذا أنه لابد من تمثيل طوائف المسلمين فى العالم كله وهم موزعون على نحو أربعين دولة أخرى كما بينا سابقا ..

فإذا أعيد تشكيل المؤتمر ليكون لكل تجمع إسلامى صوت ، وإذا كان رأى الكثرة ملزما ــ من النصف أو بالثلثين ــ وإذا اختير أمين عام تتجسد فيه آمال المسلمين وآلامهم فإنه يمكن أن يأخذ هذا الأمين وضع الخليفة ..

ولابد من مواجهة قضايا عالمية ومحلية تعترض مقررات هذا المؤتمر ولن يكون الطريق أمامه معبَّداً ، ولابد من الاقدام والتصدى للكارهين !!

وثمة اقتراح ثان .. ألا يمكن تحويل الدول والدويلات الإسلامية إلى « ولايات متحدة إسلامية » على غرار النظام الأمريكى ، ويكون الرئيس المنتخب من جماعة المسلمين فى إفريقيا وآسيا هو الامام المنشود ، أو أمير المؤمنين .

وهنا لابد من مصارحة الأمة الإسلامية التى توطن فيها الفساد السياسى دهرا .. إن تزوير الانتخابات خيانة عظمى ، وإذا كنا قد رفضنا توارث الخلافة لأنه يأتى بأدمغة تافهة ، فإن التزوير الذى اتقنه بعض الحكام لن يأتى إلا ببعض الفتاك والشطار وهواة الفرعنة ، ووجود هؤلاء طاعون يغتال الكفايات والأمانات ..

إن انتخاب خليفة يجب أن توفر له جميع أسباب الحيطة

الدينية والخلقية ، وأن يكون آية فى الشرف والتجرد ...

واقتراح آخر ! هل يمكن أن يجمع بين أسرة الدول الإسلامية والأقليات الإسلامية نظام يشبه « الاتحاد الكونفدرالى » تبقى فيه المعالم المحلية ، ويجمع المسلمين هدف واحد فى الميدان الدولى ؟

الأمر يتطلب على أية حال تعاون العلماء بالفقه الإسلامى والخبراء بالقانون الدولى حتى يمكن علاج قضايا كثيرة سوف تتطلب الحلول ...

على أن تغيير الأوضاع السياسية للعالم الإسلامى لا يتم أبدا قبل أن تسبقه تغييرات فكرية ونفسية عميقة .

فالحاكم الفرد إذا اطمأن إلى أن أظافره لن تقلم مضى فى بطشه لا يخشى أحدا ..

والمستبد غالبا من أجبن الناس ، وما يغريه بالظلم إلا أمن العقاب ، ولو كان فى بيئة يقول قائلها :

إذا الملك الجبار صعّر خده ... مشينا إليه بالسيوف نعاتبه !

لفكر سبعين مرة قبل أن يضيم أحدا ..

وقد استوردنا شكل النظام الديمقراطى فى بعض بلادنا فإذا هوى الأنفس وخراب الأخلاق يحول أجهزة الشورى إلى أبواب ملق ودعاية لفرد طائش .

وفى أيام يفاعتى كنت أرى الجماهير أحمى أنفا ، وأبين شرفا فى بقاع كثيرة ، ولكن يظهر أن الخطة التى وضعت لتدويخ المسلمين آتت ثمارها المرة .. !!

وهذا ارتكاس لا يدعو إلى يأس ، بل يدعو إلى مضاعفة الجهود لانقاذ أمة تحمل أمجد رسالة عرفها العالم ، إنقاذها محليا وعالميا .

إن هناك يقظة إسلامية حسنة ، غير أن أمراضنا الموروثة لا تزال تهبط بنا ، والأمراض الوافدة لا تزال تهاجمنا ، والأمر يحتاج إلى دعاة[1] علماء ، وساسة أتقياء ، وحصيلتنا من هذه الفئات شحيحة بالغة الشح ..

قد يكون العزاء ، أو يكون الرجاء فى أننا أصبنا فى تشخيص عللنا ، والتشخيص الصحيح خطوة جيدة فى طريق العافية ! لعل القرن المقبل يكون خطوة فسيحة إلى ما نصبو ، والأمل فى جانب الله يحلو .. لكن لا أمل بدون عمل !

□ ★ □

---

(١) هناك مشتغلون بالعلم الدينى يرون أن تجارة الرقيق عمل مشروع ، وان إنشاء الدساتير بدعة مستغربة ، وأن الدعاية للإسلام باللطف لا بالعنف علامة ضعف ، وأن سماع الموسيقى فاحشة ، وأن دوران الأرض حول نفسها وحول الشمس خرافة ... إلخ .

ماذا يستفيد الإسلام من بقاء هذه العصابة تحمل أسفارها ؟

السـوأة الكبـرى

الطبيعة البشرية واحدة فى القارات المزدحمة بسكانها ، وعلى امتداد الأمس واليوم والغد .. والناس يذوقون آثار هذه الطبيعة حلوها ومرها وقلما تختلف أحكامهم عليها ، فالظلم مستقبح والعدل مستحسن والدناءة عيب والشرف محمدة ...

ومع ذلك فإن الذين يحبون العوج ويكرهون الاستقامة كثيرون وبلغ من كثرتهم ان ذلك كاد يعد طبعا للناس ، فإن طغيان الظلمة سوّد تاريخ العالم :

وفى ذلك يقول المتنبى :

صحب الناس قبلنا ذا الزمانا وعناهم من أمره ما عنانا

ثم يقول :

كلما أنبت الزمان قناة ركب المرء للقناة سنانا

والواقع أنه وجد كثيرون لا يرون حرجا من السطو على كدح العاملين واقتناصه سحتا ، وكثيرون يرون راحتهم فى الخلاص من خصومهم ، والاجهاز على حياتهم ، وكثيرون يرون لذة المخالسة فى الاستيلاء على عرض حرام أولى من الارتباط به عن طريق الحلال الحلو والبارد العذب ..

والغريب أن الصور الجزئية لهذه الجرائم يمكن أن تضبط وتحاسب ، أما الصور الكبرى فإن الافلات فيها بالغنائم الحرام ميسور وشائع ..

وقد قرأت لأحد الصحافيين هذه الكلمات « اللصوص يسرقون ويهربون ، بعضهم يدركه العقاب والآخرون يفرون بما سرقوا ونهبوا دون أن يمسهم أذى ! فالذى يسرق الرغيف يدخل السجن ، والذى يسرق الفرن لا يدخل السجن ! لأن سارق الرغيف لص ضعيف ، أما سارق الفرن فهو لص قادر يتعاون مع عصابات قادرة ، ويجد من الأموال التى سرقها ما يقدره على تدويخ العدالة ، فهو يوكل أحسن المحامين عنه ، وبين براعة الدفاع وعناء القضاء تذهب الحقيقة » .

وإفلات مجرمين من يد العدالة غير مستغرب ، ولكن المستغرب وجود لصوص من طراز آخر ، لصوص شرفاء جدا ، لا يتهمون ، ولا يقدمون للعدالة أبدا ، لصوص لهم مناصب مهيبة وألقاب طنانة وكلمات نافذة .. !! سرقوا شعوبهم جهرة ونمت لهم ثروات طائلة ، واحتبست الألسن فى الحلوق فما تقدر أن توجه لهم لفظا !!!

والسرقات من هذا النوع تجىء عرضا ، أو تجىء تابعة للاستيلاء على السلطة ، والاستمكان من مقاليد الأمور ..

واغتصاب الحكم لشهوة عارمة شىء غير تولى الحكم باسم الله ورضا الأمة ، الأول فجور والثانى تقوى .

ويظهر أن الاتقياء فى التاريخ السياسى للأمم كانوا أندر من الماء فى الصحراء .. وإن الذين غلبوا على مصاير الأمم كانوا قطاع طريق

مهرة فى سرقة الأمجاد والكفايات ، وبناء الجاه والسطوة والأبهة على أنقاض المستذلين والضائعين !

وقد حكى القرآن ان واحداً من أولئك الفراعنة جادل ابراهيم فى ربه ، وزعم أن له سلطانا يضارع سلطان الله فى أرضه !! أليس قادرا أن يعدم من يشاء ويستبقى من يشاء ؟؟

كان المألوف فى سلطات هؤلاء الحكام أن يعلن أحدهم الحرب ، ويسوق إلى ميدانها الألوف المؤلفة من الناس كى يحققوا له مجدا ويكتبوا بدمائهم سجل عظمته ..

وكان المألوف أن تجبى ثمرات الأرض لشخصه الكريم ضرائب مباشرة وغير مباشرة لتلبى أولا حاجاته وحاجات أتباعه ، ثم يرمى الفتات الباقى للمصالح العامة ..

وقد سبقتنا أوربا إلى تقليم أظافر حكامها ، فقتلت بعضهم فى ثورات حانقة ، ووضعت دساتير دقيقة لضبط مسالك الباقين ، حتى صار الحكم هناك خدمة عامة يختار لها الأكفأ ، ويراقب من خلال أجهزة يقظة ، ويطرد ولا كرامة ان بدا منه ما يريب ..

أما الشرق الإسلامى فإن الفساد السياسى بقى فى أغلب ربوعه حتى القرن الرابع عشر للهجرة ..

إنه متأخر بضعة قرون فى طريق التقدم العالمى ، ولا يزال اغتصاب الحكم فيه سهلا ، ولا يزال الحكم وتملق الحاكمين أخصر طريق للمال والجاه ..

وما يثير الدهشة هو الفرق الكبير بين تعاليم الإسلام

وأحوال المسلمين ...

وما يثير الدهشة أكثر وأكثر هو موقف المشتغلين بالعلوم الدينية وفقه الشريعة .. كان هؤلاء كونوا بطريقة خاصة ليكونوا حواشى للحاكمين !

لقد فزعت وأنا أرى كبيرا منهم يصفق بيديه ـــ مثل صبى طائش ـــ تكريما أو إرضاء لأحد الحكام !!

إننى أعلم أنه من أجل ذلك اختير ! لكن الهبوط ما ينبغى أن يبلغ هذا الدرك ولو لحماية المظاهر . والسقوط الخلقى آفة بعض رجال الدين ، ولكنى أظن ذلك سببا ثانيا لفساد الحكم فى العالم الإسلامى . آن السبب الأول هو خلل التفكير الفقهى عند الجم الغفير من المتكلمين فى الفقه !

سمعت جدالا بين أناس يتحدثون عن حكم لمس المرأة ولمس إحدى السوأتين ، والأقوال المتضاربة فى هذه القضية !

فقلت لهم : هذه أحكام تقرر فى خفوت ، ويذكر الخلاف فيها بكثير من التجاوز ! وأمرها لا يستحق هذا الحماس ولا ذلك العناد !!

فنظروا إلى مستنكرين ! فقلت لكبيرهم : أتعرف شيئا عن السوأة الكبرى فى الإسلام ؟

وجاء الرد بسرعة ، أى سوأة ؟ قلت ضياع الإسلام فى الأندلس وذهاب ريحه وانتهاء دولته ومحو جضارته ! هل درستم أسباب ذلك ، وأخذتم الحيطة حتى لا تتكرر المأساة ؟

إننى أدهش عندما يجيئنى متقعر يسألنى : هل يقضى المأموم الركعة إذا لم يقرأ الفاتحة ولكنه أدرك الإمام راكعا ؟ لقد قلت لهذا السائل : الجمهور على أنه لا يقضى ! فقال بسماجة : لا ، يجب أن يقضى والسنة الصحيحة توجب ذلك ! قلت له : مادام يؤثر الرأى الآخر فليقضى الركعة ! فأراد أن ينشىء معركة علمية فى هذه القضية فقلت له بصبر نافد : إن تعلقكم بهذه الخلافات لا مساغ له ! أريد أن أسالك ..

التناصر بين المسلمين واجب ، فكيف ينصر المسلم فى أفريقية أخاه فى آسيا ، هل فكرتم فى ذلك ، واكتشفتم وسيلة مادية أو أدبية ؟

إن الحكومات تعالج شئونا عادية وعبادية خطيرة ، فهل فكرتم فى طريقة لنصحها ، وعرض وجوه الرأى عليها ، وإلزامها بالحق ان هى رفضته ، وتأمين معارضيها إذا فكر مستبد فى إيذائهم .

إن تخلف المسلمين شائن فى دنيا الناس فهل فكرتم فى أسلوب يكشف عنهم هذا العار ؟ حتى إذا تقدموا صناعيا وحضاريا أمكنهم أن يدفعوا عن عقائدهم ، ويحموا مساجدهم من نظم تريد إغلاقها ، ومنع اسم الله أن يذكر فيها ... ؟

فقال لى المتفقه المغفل : هذه سياسة وأنا أكلمك فى الفقه ! .

قلت : أنا أكلمك فى الفقه ، وأنت وأمثالك صرعى سياسات محقورة شغلت الجماهير بالخلافات الصغيرة حتى يمضى الفجار فى طريقهم دون عقبات ..

إن الاستبداد السياسى استطاع على تراخى الأيام أن يحذف

أبوابا مهمة من قسم « المعاملات » فى فقهنا الضخم ! أو أن يجعل حقائقها ضامرة مهزولة لأن الكلام فيها مرهوب النتائج ..

ومن ثم طال الحديث فى أمور هينة وكثرت فيها التفريعات والأخيلة البعيدة ، على حين صمت الفقه فى الأمور الجلل .

وتم البت فى قضايا المسلمين العظمى بين جماعات من الفتاك يذكرون أنفسهم وأتباعهم كثيرا ولا يذكرون الله إلا قليلا ..

وقد وقعت فواجع فى بيئات الحكم يندى لها الجبين ، وأهيل عليها التراب دون تعليق ، ففى اليمن قتل أمير — أو تآمر — على قتل تسعة من إخواته حتى تخلص إمامة المسلمين للأخ القاتل وحده !!

ومطلوب من الفقه الإسلامى أن يشغل بمكان وضع اليدين فى الصلاة ! أو برفعهما قبل الركوع ! وهى أحكام تتساوى فيها وجهات النظر ، ولا يأثم مسلم يجنح فيها إلى السلب أو الايجاب ..

نعم مطلوب منه افاضة الكلام فى هذه القضايا وتكوين عصابات من الرعاع تشغل المصلين بهذه الأحكام ، وتثير بينهم الفتن !!

أما سياسة الحكم والمال فعلاقة الفقه بها مقطوعة ، وحسب نفر من العلماء المعاصرين أن يرددوا فيها أقوالا سقيمة ، قررها الجبناء الهاربون أو المفكرون القاصرون ..

كانت النتيجة المريرة أن حكم المسلمين رجال لا يؤمنون على شىء ، ولا تحركهم إلا غرائز طفولية من جنون العظمة والاستئثار بالسلطة ..

ولم تكن القوة المعادية للإسلام غافلة ! ومتى غفلت ؟ إنها

بين الحين والحين تنفذ من هذه الثغرة فى مجتمعنا لتهلك الحرث والنسل ، وهى تفعل ذلك بأيدينا نحن لا بيد زيد أو عمرو !

ومن أعصار طويلة وهذه الفوضى الفكرية تسود العالم الإسلامى وتعوج بخطاه عن كل هدف شريف فإذا قضايا كبيرة تموت مكانها لا يكترث بها أحد ، وإذا أمور توافه يهيج لها الخاصة والعامة ... !

ومضت سنة الله فى أمتنا كما مضت فى كل مجتمع مختل ، فتدحرجنا من مكان الصدارة إلى ذنب القافلة الإنسانية ، وأسأنا إلى ديننا بقدر ما أسأنا إلى أنفسنا ...

وجاءت ساعات الصحو والمحاسبة وتأنيب الضمير ! وبدأنا نغضب لما أصابنا ونأسف لما ضاع منا ، فكيف العمل ؟

البعض يريد السير فى ذات الطريق الذى انتهى به إلى الذل .. البعض يرفض بكبر غريب أن يعرف لماذا تقدم غيرنا .. البعض يعجز عن فهم الفطرة الإنسانية ويظن الدين حربا عليها !

□ ★ □

ملـزمة أو معلمـة

لقد أخطأنا خلال القرون الأخيرة أخطاء جسيمة دفعنا ثمنها تهويد وتنصير وتمجيس أقطار واسعة من عالمنا العريض ، ومطلوب منا الآن أن ندفع أكثر ، ومع هذا كله فإن ناسا يصطنعون التدين يشغلون أنفسهم بحكايا من الفقه الظاهرى والخارجى والمعتزلى والسلفى والخلفى تتصل بشئون ماوراء المادة أو بشئون تعبدية خفيفة الوزن ..

أما ما يمس الإنسان ومصاير الجماهير ومستوى الحياة العامة ففكرهم فيه طفولى عليل ! وماذا تنتظر من متحدث عن الإسلام يقول : أجمع السلف والخلف على أن الشورى لا تقيد الحاكم !! لحساب من يقال هذا اللغو السخيف ؟

أهذا هو التفسير المجمع عليه لقوله تعالى : ﴿ **وأمرهم شورى بينهم** ﴾ ؟

ونشأ عن ذلك وجود حكام قهروا الأمم وأوردوها الحتوف لأن الفكر الدينى لم يستطع إنشاء الكوابح التى تشدهم إلى الوراء ، ما استطاع إيجادها ولا استيرادها !!

وقد تقاتل المسلمون فى إيران والعراق فانظر ماذا يقول الأستاذ

مصطفى أمين فى ذلك القتال .

« لا أستبعد أن يحصل الغرب والاتحاد السوفيتى واليابان على بترول إيران والعراق مجانا لمدة عشر سنوات أو تزيد ! فالتدمير والخراب والدمار الذى حدث فى هذه البلاد يحتاج إلى مئات البلايين من الدولارات لاعادة معامل البترول التى دمرت وأنابيب البترول التى خربت وعشرات المدن التى تحولت إلى أنقاض والمصانع التى تحطمت والعمارات التى تحولت إلى أكواخ ، وسوف تستعين إيران والعراق بالدول الكبرى وخبرائها والاتها ، وسوف تشترى منها أسلحة جديدة وطائرات جديدةوبوارج حربية جديدة بدل ماضاع فى المعارك الطاحنة ! فلم تكسب الدولتان الشقيقتان إلا الخسارة ، وإلا قتل آلاف الأبرياء من النساء والأطفال ، وإلا كراهية وحقدا وبغضاء ستعيش مائة سنة قادمة على الأقل ، وإلا ضياع البلايين والافلاس التام » !

« كل هذا لأن مصير هذه الشعوب فى يد بضعة أفراد مغامرين يعلنون الحرب وقتما يشاءون ويسوقون بلادهم إلى الخراب كلما خطر ببالهم أن يحصلوا على مجد مزيف ، أو أن يبدوا للعالم فى صورة الغزاة الفاتحين . ولو كانت فى هذه البلاد برلمانات حقيقية منتخبة انتخابا حرا ومناقشات ديموقراطية يتبادل فيها المختلفون الرأى بدل تبادل إطلاق الرصاص ، ولو كانت المنابر فيها قامت مقام المشانق ، لما سمحت الشعوب بمثل هذه المغامرات المجنونة التى تدفع الشعوب ثمنها من قوتها وحريتها وحياتها فى غياب الحرية والديمقراطية والرأى الآخر . إننا فى هذه المنطقة يجب أن نتعلم كيف نختلف . فنحترم من يخالفنا أو يعارضنا كما نحترم أنفسنا ، لا أن نبادر بالقاء تهم الخيانة

على كل من لا يتفق معنا فى رأى أو يختلف معنا فى طريق » .

الإسلام يمنحنا حرية الرأى ، ولكنه لا يسمح لفريق منا أن يفرض إرادته على فريق ، يفرض زعامته على أمة على الرغم منها ، أو يحول المسلمين إلى أغنام يسوقهم أمامه ، وكأنه الراعى الوحيد ، شرط الإسلام الأكبر أن يكون المسلمون أحرارا ولا مكان فيهم للطغاة ولا للعبيد ، فلا تزجوا بالإسلام فى خلافاتكم .. وحاولوا أن ترتفعوا إليه ، بدل أن تنزلوه إليكم ! ويل للذين ينتزعون الرايات العظيمة ويحاولون أن يمسحوا فيها أحذيتهم .

الحكم الفردى بطبيعته يبغض أولى الكفايات الكبيرة ، ويتجهم لمرآهم ، ويغلق الأبواب فى وجوههم !!

وأى فرعون من هؤلاء الذين تصدروا وحكموا تملكه غيرة المرأة إذا لمح ذكاء يتوهج أو همة تتقدم .. إنه على عجل يحاول إطفاء البريق وعرقلة المسير ..

وليس يعنيه أبدا أن تحرم الأمة الانتفاع من مواهب بنيها أو مسابقة غيرها فى أى مجال مادى أو أدبى فإن همه الأوحد أن ينفرد بالمجد ، وليذهب ماعداه إلى الجحيم ..

أمام ذوى الامتياز والمقدرة فرصة واحدة ليعيشوا ، هى أن يجثوا فى محراب الوثنية السياسية ، ويحرقوا البخور للحاكم بأمره ، وعندئذ يؤذن لهم بالتحرك فى حدود مايشاء ..

وقد رأيت فى تجاربى وخلال دراستى لتاريخ أمتى أن عبقريات كثيرة ولدت فى ظلام هذه الأوضاع فليس كل ذى موهبة يصلح ذنبا

لصنم كبير ، بل إن أكثر المواهب تحتاج للتشجيع أو للتدليل كي تنتعش وتنمو . ورب عبقرى كبا أول عمره ثم أسعفته الأيدى الحانية فنهض ومضى فى طريقه ليتحول مع الأيام إلى قمة مرموقة . إن العبقريات — فى أغلب الأحيان — تبدأ نبتا رقيقا يمكن أن تدوسه قدم غليظة فتأتى عليه ، ولكنه إذا وجد السقيا والرعاية نما وأزهر وأثمر .

وليت شعرى ماقيمة الأمم إذا قتلت أنفس معادنها ، وتولى الرعاع وحدهم قيادها ؟؟ فى أى ميدان علمى أو اقتصادى أو عسكرى وسياسى يمكن أن تنجح .. ؟

وإذا كان الحاسدون والحاقدون يستمكنون من اقتراف هذه الجرائم فماذا ننتظر ؟ سمعت رجلا يقول إن الله قسم الحسد اثنى عشر جزءا ، خص العرب بأحد عشر وقسم الجزء الباقى على أهل الأرض فهو يسرح بينهم سحابة النهار ، ثم يعود لينام فى أرض العرب بقية الليل !!

الحق أنى فزعت من هذا المثل الرهيب ! ولما نظرت فيه وجدت أن العيب ليس فى جماهير العرب ولكنه فى رؤسائهم وحكامهم من عهد مبكر ، أى أن الاستبداد السياسى هو الذى يتحمل وزر القتل العمد لعشرات ومئات من المفكرين والعظماء الذين أهيل عليهم التراب ليستمتع بالشهرة فرعون صغير هنا وهناك ..

ولا يزال الأولاد يدرسون أسماء الأشخاص الذين أبرزهم التاريخ السياسى ، ومن استطاع لسبب أو لآخر أن يحيا فى حواشيهم !!

أما كبار العلماء فقد رأيت فى عصرنا هذا عددا منهم يموت

فى صمت أو فى غربة ووحشة فكم عدد من هلكوا خلال القرون الماضية ؟ ألا يفكر فى ذلك من يبحثون عن سر تخلف المسلمين ؟ وعن سبب تفوق غيرهم ؟

إن الأمجاد المعنوية تنتقل بين الأكواخ والقصور ، وبين السود والصفر والبيض ، بين الناس على اختلاف أعراقهم وأحوالهم ، وليست حكرا على سلالة معينة !

وقد اختار الله إبراهيم لامامة الناس بعد مانجح فى امتحانات صعبة ، فلما فكر أن ترث ذريته الامامة من بعده ، رفض فكره ، لأنهم قد يسقطون فى الامتحانات التى نجح هو فيها ..

والنظام الصالح هو الذى يعطى حق الحياة والنماء للجديرين بذلك ، والذى يشد إلى أسفل كل من يريدون الصعود بالتزوير والأثرة ، والذى يدمغ بالدناءة معترضى الكفايات من أى طبقة !!

يقول الأستاذ مصطفى أمين :

« فى بلاد الدنيا كلها عندما ينجح إنسان نهال عليه الورود والرياحين أما فى منطقة الشرق الأوسط فإن فيها وباء عربيا اسمه وباء محاربة الناجحين والقضاء على النابغين وتحطيم المتفوقين .

لا نكاد نسمع عن رجل نجح حتى ننهال عليه بالطوب ، وهذه طريقتنا فى إطلاق المدافع لتحية الأبطال الفاتحين . فإذاا لم يكن الرجل الناجح عند حسن ظننا وانهار تحت وابل الطوب ، أسرعنا نهدمه بالمعاول فإذا رأينا رأسا مرفوعا طالبنا بقطعه ، وإذا شاهدنا شركة ناجحة أبلغنا ضدها الرقابة الإدارية ، فإذا الغيت الرقابة الإدارية

استنجدنا بالنيابة الإدارية !

البعض منا يعتبر النجاح خيانة عظمى يجب شنق مرتكبها المجرم الأثيم . أما الإنسان الفاشل فهو وحده الذى يستحق احترامنا ــ لولا أنه سرق لما نجح ! لولا أنه اختلس لما اغتنى ! لولا انه خالف كل مبادىء الأخلاق لما تقدم كل الصفوف . عقلية العبيد هذه يجب أن نقاومها فى أنفسنا . ويجب أن نعتبر كل كفاءة فى بلادنا قلعة لابد أن نحميها من الاقتحام بالبلاغات الكاذبة ومن الشكاوى الوهمية ومن الاتهامات المزيفة .

اسمع عن كفايات فى بلادى تحارب ، وتقام العقبات فى طريقها ، كأن حزب الفاشلين يريد مطاردة كل كفاية والقضاء على كل عبقرية ، وتحطيم كل نجاح . والفاشلون عادة جماعة من الفارغين الذين يستطيعون أن يتفرغوا ٢٤ ساعة كل ٢٤ ساعة لتدبير المكائد ، ولاعداد الخناجر التى يطعنون بها ظهور الناجحين المتفرغين لعملهم ، والذين لا وقت عندهم للدسائس والمؤامرات ، ووضع الخطط للخلاص من الكفايات !

أذكر يوما أنه صدر قرار بنقل (مهندس كبير) من شركة كيما إلى شركة أخرى بلا ذنب ولا جريرة سوى أن موظفا كبيرا لم يستلطفه ! وحرمت كيما من رئيس كفء ، ولم تلبث الأمم المتحدة أن اختارته خبيرا بها ثم أصبح بعد ذلك وزيرا للصناعة ! وقد كان من الممكن أن يقضى القرار الخاطىء نتيجة الدسائس والمؤامرات على موظف كفء ، واعرف أن طبيبا أنشأ مركزا كبيرا من أكبر مراكز العلاج فى الشرق الأوسط ، وانعمت عليه الحكومة الفرنسية بوسام

اللجيون دونير ، وأقام له الوزير المختص حفلة تكريم ، وما كاد ينتهى الخطباء من القاء خطبهم فى تكريم الطبيب المحتفل به حتى تقدمت ضده البلاغات ، وبدأت التحقيقات ! ولولا أن المسكين نجح فى عمله وتفوق فيه ونال وساما من دولة أجنبية وأقيمت له حفلة تكريم لما انهالت ضده البلاغات .

واجبنا أن نحمى كل كفاية فى بلادنا ، وأن نحافظ عليها ، وأن نعلم أن الكفاية لا تحتاج إلى المنصب إنما المنصب هو الذى يحتاج إلى الكفاية . وان كل الذين حاربهم الفاشلون واضطروا أن يخرجوا من مناصبهم قرفا ، أو زهدا ، أو ضيقا وجدوا خارج هذه المناصب مناصب أخرى تدر عليهم أضعاف مرتباتهم ، إننا نحتاج إلى كل كفء فى بلادنا أكثر مما يحتاج هو إلينا ..

والذى يحارب الأكفاء فى بلادنا إنما يحارب الوطن » .

إن الذى يحدث ــ عندما يتآمر العجزة ــ أحد أمرين : أن ينزوى الأكفاء ويعتزلوا المجتمع ، وتغلب عليهم فلسفة التشاؤم وفكرة التصوف ، وذلك ماغلب على تاريخنا القديم . ! أو يهاجروا إلى بلد آخر يلتمسون فيه العدل والنصفة فإذا وجدوا فيه مانشدوا ، جعلوا ولاءهم له ، وقصروا نشاطهم عليه ، وعلى ألسنتهم قول أبى الطيب :

وكل امرىء يولى الجميل محبب وكل مكان ينبت العز طيب

وفى عصرنا الحاضر استطاعت الولايات المتحدة أن تظفر بأكبر قسط من العقول المهاجرة فدعمت تفوقها الحضارى بعبقريات هائلة من كل قطر بعدما وفرت لها التقدير المادى والأدبى على سواء ..

وقد حضرت من بضع سنين مؤتمرا للطلاب المسلمين فى الولايات المتحدة ، وسمعت وأنا محزون حوارا بين اثنين من الشباب المسلم ، استنبط منه أن أعدادا كبيرة من الأطباء العرب تخدم فى أمريكا ، وأن حصيلة ذكائها ومخترعاتها فى عالم الطب والدواء تذهب إلى شركات صهيونية متخصصة تضع عليها طابعها ، وتربح الألوف المؤلفة من ورائها ..

وفى إحصاء نشرته صحيفة الأهرام قرأت أن ٦٦ ٪ من العقول المهاجرة هى من العالم العربى ، فأدركت أن العالم العربى أخصب بقعة لرواج العملات المزيفة وصدارة النفوس المريضة وانتشار الكفايات المهيضة !!

والغريب أن الفكر الدينى سادته هذه اللوثة ، فعندما كنت فى مكة وقعت مهزلة احتلال الحرم .. وكنت بادى الغضب على ماحدث فإن الأولاد الذين تحركوا تحت شعار السلفية لا قدم لهم فى الفقه ولا فى السياسة ولا فى شئون الحياة ، كل مالديهم بضعة أحاديث فى قضايا ثانوية مع تصور طائش لحاضر المسلمين ومستقبلهم ..

وسمعنى أحد الناس وأنا أتناولهم بسوء الظن والقول ، فاقترب منى ناصحا ، وقال لى ــ ولست أشك فى صدق عاطفته ــ الأفضل ان تسكت ! ..

قلت : لماذا ؟ قال : إن أصحاب القلوب المؤمنة اتفقت رؤاهم على أن المهدى ــ عليه السلام آن ظهوره ، ويوشك أن يخرج ليملأها عدلا كما ملئت جورا .. !

قلت : وأين هذا المهدى ؟ قال معهم ! قلت وأنا أضحك من أعماق النفس : هذا الطالب الذى ترك الدراسة فى إحدى الكليات لأمر ما ؟ قال : ليكن !!

قلت : عجبا لأمر أمتنا ، اليهود يقودهم حكماء صهيون المختارون من أعلى المواهب .

والنصارى يقودهم كرادلة مجربون لهم فى خدمة الكنيسة تواريخ ناطقة ..

والشيوعيون تقودهم أنياب مفترسة قضت أعمارا متطاولة فى الدرس والتطبيق ..

وأمة محمد وحدها هى التى يتولى قيادها طالب فاشل ! أهذا تفكيركم ؟؟ إن المسلمين ـــ لطول رئاسة الاغبياء فى مجتمعاتهم ـــ فقدوا الحس بموازين الأمور ، ومعاقد المسئولية ، فهم يحسبون المناصب حظوظا عمياء لا أمانات بصيرة ..

وسوف يظلون دون العالم كله ماشاع بينهم هذا المنطق المشئوم ..

□ ★ □

موازين العدالة فى ظل الاستبداد السياسى

مع الاستبداد السياسى تضطرب موازين العدالة ، وتختل أعمال القضاء ! خصوصا عندما يتصل الأمر بشخص الحاكم أو أسرته أو أتباعه أو أسلوبه فى الحكم .

إن المعارضين يجتاحون اجتياحا ، وقد تكتفى الحكومة بإبعادهم عن الوظائف الإدارية والتوجيهية إذا كانت معارضتهم فى حدود الانحراف السلبى ، أو عدم الموالاة والتأييد .

أما إذا مست المعارضة هيبة السلطة وبقاءها فإن التنكيل بالخصوم لابد منه وعندئذ يقع الاعتقال القصير أو الطويل ، والسجن الخفيف أو الشاق ، والضرب أو التعذيب ، والقتل البطىء أو السريع .. !!

لا قضاء هنا ولا قضاة ، ربما ألفت لجان خاصة يطلق عليها اسم المحاكم العسكرية ، وهذه تنفذ الأوامر الصادرة إليها بعد اجراءات صورية ومخزية ..

فى إحدى المحاكم طلب الرئيس من المتهم أن يقرأ الفاتحة « مقلوبة » .. !!

وفى إحدى المحاكم هذه غضب الرئيس لأن المتهم « سيد قطب » خاطبه بسيادة الفريق ونسى أنه فريق أول .. !!

وقبل أن نذكر طرفا من المأساة نسجل طرفة للطريقة الساخرة التى تعلق بها العامة على منهج القضاء فى ظل الاستبداد السياسى . !

قالوا : إن جحا جاء إلى أحد الولاة يعرض عليه قضية تخصه ، فساق شكواه على هذا النحو .... إن لمولاى فيما أعلم ثورا أحمر — فأجابه الوالى : صدقت ياأبا الغصن فما باله ؟ قال : نطح بقرتى البيضاء فشق بطنها ، وأخرج أمعاءها وقتلها على الفور !! فقال له الوالى : وما شأن الوالى بذلك وأى سلطان لى على الحيوان ؟ أتريد أن أعاقب الثور على فعلته ؟ ألا فلتعلم أن دم الحيوان هدر !

فقال جحا : صبرا ياسيدى وعفوا ، لقد دفعتنى العجلة إلى رواية القضية معكوسة ، فإن بقرتى هى التى نطحت ثور مولاى فقتلته !

فقال الوالى : ويلك ، لقد تغير وجه المسألة ، أعد على القصة لأرى فيها رأيى من جديد .

والغريب أن العدوان على ذيل بغلة القاضى كان مثار لغط سياسى فى بعض المؤتمرات ، أهو ذيل كسائر الذيول ؟ أم له مكانة خاصة ؟

إننا نذكر هذه الدعابات بين يدى أحزان وآلام أطاحت بحياة الألوف وطمأنينتهم ، على طريقتنا نحن المصريين فى الضحك من كل شيء ، حتى من هزائمنا ومتاعبنا .. !!

كان المجاهدون يكافحون حيفا مضاعفا من هنا ومن هنا ... وأرسل أحدهم إلى الأستاذ مصطفى أمين يستصرخه كى يتكلم ، والحق ان الرجل كان عند حسن الظن فنشر مابلغه ، وصدق فى

تعليقه عليه عندما قال :

« وصلنى فى البريد منشور من دمشق ، فى شكل ديوان شعر ! ما أروع الشعر الهارب من قبضة الجلاد . قافيته فيها رنين سجين هارب ، تخطى الأسلاك الشائكة ، وغافل الحراس ، وقفز فوق الأسوار !

اسم الديوان « انتحار أيوب » للشاعر محى الدين اللاذقانى . وهو يروى قصة الشاعر الذى هرب من قلعة الطغيان والجبروت .

وهو يعاتب كل الذين صمتوا ولم يلعنوا الطغاة ، فلا يصنع الطغاة إلا العبيد ..

وهو يلعن الذين سكتوا عندما كانت تداس الزهور بالأقدام ، وعندما تحول الرجال إلى مطايا يركبها المستبدون .

وهو يتحدث عن جلده الذى ألفت السكاكين دمه ، وهو يروى قصة الذين جاءوا بالليل وتسلقوا مقعد الحكم ، وتركوا الشعب ينام بغير وسادة ، لا تغطيه حرية ولا ديمقراطية ولا عدالة ، وإنما ريح من الحقد والضغينة وسفك الدماء ..

وهو يصور بلدا لا يعيش فيه إلا الغربان ، ولا ترى فيها إلا الجنازات ، ولا تسمع فيه إلا صوت العويل على الذين يقتلون لأنهم أبوا أن يمشوا فى موكب العبيد ! فى زمان التشفّى تنبح الكلاب ارتياحاً ، ويصبح الجبن حكمة والشجاعة جنونا والحماقة رجولة ..

واقرأ شعر هذا الشاعر الذى لا أعرفه . فأجدنى أعرفه ، أعرف كلماته ، أحس بالسياط التى ألهبت ظهره ، أشعر بالكلمات التى

استباحت ضلوعه . أسمع صرخاته فى نفسى ، وفى نفس كل مواطن فى منطقة الشرق الأوسط عاش فى زمان حرم فيه من الحرية والديمقراطية والعدالة ومن حقوق الإنسان .

كلمات هذا الشاعر يعرفها كل إنسان حرم من حقوق الإنسان .. كل مواطن عاش فى ظلام الحكم ، كل من عرف الدنيا بلا محكمة وبلا قاض وبلا ضمير . عندما يتحول ، « أعوان الخليفة » إلى ذئاب تأكل جثث الأحياء ، وعندما يصبح الأبرياء مصلوبين على الجدران وعندما يصبح صراخ المعذبين وعويل المضروبين غناء عذبا يشجى آذان الجلادين . عصر الرجال وهى تموت من جوع الحرية .

والشاعر يشكو من المدينة أنها لم تقم لتقتلع الطغاة من مقاعدهم ، وهو يتهمها بأنها تطيع الغزاة وتلبس أحلى الثياب لتغرى الحواة ، وتسكر فى يومها مرتين ، فى الصبح تشرب نخب الطغاة ، وفى الليل تغفو لتسلو وتنسى — ويقول : « هذه المدينة ليست دمشق ، فأنى أراها تدوس بنيها ، وإن الدراويش يموتون فيها ، وحتى العصافير تهاجر منها » !!

لا أيها الشاعر المقيد بالأغلال ! أنا أفهم سخطك على مدينتك . ولكن لا تظلمها . إنها ليست مستسلمة . إنها مقيدة بالسلاسل والأغلال حتى لا تتحرك ، ومكممة حتى لا تنطق ، مغمضة بالعصابات السوداء حتى لا ترى الجرائم ! ولكنى أعرف الحرية ! سيجىء يوم تحطم فيه دمشق قيودها وسلاسلها وستنتزع الكمامة من فوق فمها ، وسترفع العصابة من عينيها ، وسوف تعود كما كانت دائما مدينة الحرية والأحرار ولن تنتحر ياأيوب ... وسيبقى كل

أيوب فى سوريا على قيد الحياة . !

وكلكم أيوب . !! » .

يظن البعض أن العدالة تختفى فى القضايا السياسية وحدها عندما يشعر الحكم الفردى بأن خصومه يتحركون ، فهو يضربهم بضراوة شديدة ، ويجعل النكال بهم رادعا لغيرهم ، وربما بقيت للعدالة ظلال فى ميادين أخرى ..

وهذا ظن بعيد عن الواقع فإن الحكم الفردى يشيع فى أرجاء المجتمع كله أخلاقا هابطة .. إنه مثلا يقوم على تزوير الانتخاب ، ويعنى ذلك إشاعة الزور والرضا بنتائجه ، واطباق الأفواه دون قول الحق أو نصرته !

وهو مثلا يحابى الأقارب وذوى الملق ويمنحهم من المكانة المادية والأدبية فوق مايستحقون . ويعنى ذلك بخس القيم وتأخير الاتقياء وتقديم الفجرة وجعل النفعية والارتزاق وحب النفس هى الفلسفة السائدة .

أى أن العطب يتغلغل من ظاهر الجماعة إلى باطنها ومن ظاهر النفس الإنسانية إلى باطنها فلا يبقى شرف ولا دين إلا بضعة مظاهر لا تسمن ولا تغنى من جوع ..

وقد رأيت صحافيين نبلاء أفزعتهم أنباء التعذيب فى القضايا السياسية ، وضياع العدالة فى أثناء محاكمة المتهمين التعساء ، فأورد الأسئلة الآتية وقال : هل يجاب عليها بنعم ؟؟

هل يقبض على الإنسان « المتهم » ويسجن بناء على أمر رسمى

من مرجع قضائى ؟

وإذا سيق مواطن بتهمة ما إلى المحكمة ، فما سناد هذه التهمة ؟ أهو نص قانونى صريح ؟

وهل تجرى محاكمة هذا المتهم جهرة وعلانية بحيث يسمح لمن شاء أن يشاهدها ، بدل أن تعرض من التسجيلات المعروفة ؟

وهل يسمح لهذا المتهم بالدفاع عن نفسه أو توكيل المحامين الذين يختارهم للدفاع عنه ؟

ثم إذا حكم القضاء ببراءته هل يطلق سراحه ؟

وإذا حكم عليه بالسجن هل يعرف مكان سجنه ؟ ويمكن أهله وأحباؤه من زيارته ؟

وإذا حكم عليه بالموت هل يسمح له بكتابة وصيته ووداع أسرته والسير فى جنازته ؟

الحق أن فى هذه الأسئلة إيماءات خفيفة إلى ما يقع ، وهى توجه الباحثين إلى تعرف مراحل الفساد فى القضايا السياسية ، وطرق الاجهاز على المعارضين ..

وأحسن إجابة على تلك الأسئلة ماذكره الأستاذ مصطفى أمين فى هذه القصة ..

دق الباب فى منزل تاجر فى دمشق ، وفتح التاجر الباب ، وقال له ضابط كبير فى الشرطة أريد أن أحدثك فى أمر هام ، قال التاجر تفضل . وبعد التحية المعتادة قال الضابط الكبير إن وزارة الداخلية

السورية عثرت فى أرشيفها على ملف التاجر السورى ، واكتشفت انه كان عضوا فى جماعة الإخوان المسلمين فى عام ١٩٣٠ .

وتوقع الضابط الكبير أن يغمى على التاجر ، أو أن يركع على قدميه طالبا العفو والمغفرة ، فعضوية الإخوان المسلمين فى سورية جريمة فظيعة يستحق مرتكبها الاعدام بغير محاكمة ، ولكن التاجر ابتسم ومد يده إلى درج بجواره ، وأخرج ورقة وقدمها للضابط الكبير وهو يقول : هذه شهادة ميلادى وفيها اننى ولدت سنة ١٩٢٤ فكيف أكون عضوا فى الإخوان المسلمين سنة ١٩٣٠ وعمرى ست سنوات ؟؟ بل كيف أكون فى الثلاثينات عضوا فى جميعة الإخوان المسلمين التى لم تتألف فى سوريا إلا فى الأربعينيات ؟

ولم يهتز الضابط الكبير وقال ان ملف وزارة الداخلية ورقة رسمية لا يأتيها الشك من خلف ولا من قدام ولا يجوز الطعن فيها أمام المحاكم . وهى أصدق من شهادة الميلاد ! وقبض على التاجر السورى ووضعه فى السجن !

هذا التلفيق هو سمة عهود الظلام . فعند إطفاء الأنوار يظهر الملفقون والمزورون والنصابون ..

ويصبح التلفيق أساس الملك ، فإذا أراد أحد الطغاة أن يتخلص من منافس له فى حب فتاة أو أن يقتنص زوجة من زوجها ، أو أن يحتل شقة تعجبه أو أن ينتقم من جار يكرهه أو أن يتقرب إلى صاحب جاه أو سلطان ، فليس أسهل عليه من أن يلفق اتهاما ، ويزور أدلة ، ويختلق مستندات ، وما أكثر شهود الزور فى عصور الطغيان يقسمون على دفتر التليفون ويدعون إنهم يقسمون على القرآن ، ويحلفون

بالله وهم يحلفون بحياة الشيطان . وكم من أبرياء ظلموا بلا ذنب ، وحكم عليهم بلا قضاة ، وسجنوا بلا جريمة بل كم من شهداء قتلوا ودفنوا سرا لأنهم أبوا أن يعترفوا اعترافات كاذبة على أبرياء .

وليست سوريا وحدها التى حرمت حقوق الإنسان ، بل إن بعض البلاد توهمت أن الثورة هى أن تثور على العدالة وتثور على القانون ، وتثور على مبادىء الأخلاق ، وتثور على كل حق من حقوق الإنسان . وفى كل يوم تصل إلينا من وراء الحدود قصص مرعبة عن جرائم ترتكب ، ونساء تغتصب ومذابح تقع ، وأموال تنهب وحقوق تداس بالأقدام وليس من حق المظلوم أن يحتج . وليس من حق البرىء أن يستأنف فالحاكم الفرد هو الشرطة وهو النيابة وهو القاضى وهو الاستئناف ، وهو النقض وهو الابرام وهو المفتى الذى تحال إليه الأوراق قبل تنفيذ حكم الإعدام .

التلفيق هو العلم الذى يرفعه الطغيان لتعلم الدنيا أن العدالة فى أجازة !!

قالت الضفدع قولا : رددته الحكماء !
فى فمى ماء وهل ينطق من فى فيه ماء

عندما تحظر حرية القول فسيموت حق نافع ويحيا باطل مؤذ ضار !

ستختفى القدرة على النصح وتظهر الرغبة فى الملق !

سيذبل الولاء للمبادىء وينمو الولاء للأشخاص !

إذا كان سنا البرق يبدو من التقاء سحب شتى فإن سنا الحق

يبدو من التقاء آراء شتى ، لقد انتهى زمن المعصومين الذين يساندهم الوحى ، ولا يقولون إلا الحق . أدرك العالم كله أن من جاء بعدهم مهما شمخت عبقريته فهو يخطىء ويصيب ، ويكبو ويمضى ...

ولقد سجلت التجارب التاريخية أن أخطاء العباقرة قاتلة ، وأن الشعوب تدفع ثمنها من دمها ومالها وكرامتها .. فلا يجوز أن يحكموا بلا معقب وأن يتصرفوا دون حسيب . وإذا وجب على الأمم أن تعتبر بماضيها ، فالأمة الإسلامية أولى أمم الأرض بأن تحتاط ضد الاستبداد السياسى ، وأن تمنعه من قتل مستقبلها بعد ما أسقم ماضيها وعرقل خطوها وشل رسالتها .

وكل دعوة دينية لا تحسن الاعتبار بما كان فهى وبال على نفسها ودينها ، ويجب أن ينصرف عنها المسلمون .. !!

تم بحمد الله تعالى وعونه

رقم الإيداع
١٩٩٠ / ٧٩٢١

الترقيم الدولى
I.S.B.N. 977 — 5087 — 00 — 7

فهرس الكتاب

الكتاب التالى

من سلسلة : الإسلام دين الحياة

الإســـلام والقتـــال

(مقدمة فى فقه القتال فى العالم المعاصر)

د . أحمد عبد الرحمن

يتناول أحكام القتال فى الإسلام فى الفقه الموروث .. وكيف تغيرت الأوضاع والظروف فى العالم المعاصر .. والحاجة لفقه جديد يعالج الأفكار الجديدة والقسمة الجديدة والقوى المتنازعة الجديدة .

هذا مايتناوله الكتاب التالى :

الإســـلام والقتـــال

هـذا الكتـاب

أزمة الأزمات فى وطننا العربى وعالمنا الإسلامى هى أزمة الشورى والإستبداد السياسى ، وكما يقول المؤلف فإن الحكم الفردى فى أرجاء العالم الإسلامى قد أهلك ــ من قديم ــ الحرث والنسل ، وفرض ألوانا من الجدب العقلى والشلل الأدبى أذوت الأمال وأقنطت الرجال . والغريب أن هذا التخريب يناقض مناقضة ظاهرة توجيهات الإسلام فى كل ناحية .

حول هذه المعانى تدور موضوعات هذا الكتاب وهو صيحة تحذير من غياب الشورى واستخفاء الحريات العامة وإهدار كرامات الشعوب .

دار الشرق الأوسط للنشر
١٥٢ شارع الطيران - مدينة نصر - القاهرة
تليفون ٢٦٠٥٧٦٧